

الحسن بن علي (عليهما السلام) الإمامة الهادية

دراسة في ضرورة صلحه ونقد الروايات الطاعنة في سيرته

نجم مكوثر الحسنوي

الإهداء

لى ابضعة الطاهرة

فاطمة الزهراء (عليها السلام)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
وبعد :

إن الإمام الحسن (عليه السلام) باب مدينة علم من لا ينطق عن الهوى، وهو مستودع
سر النبي (صلى الله عليه وآله) ، معصوم من كل خطأ ، ولا يفعل إلا ما هو رضى الله تعالى وما
فيه صلاح الأمة .

الإمامة امتداد للنبوّة ، والإمام الحسن (عليه السلام) استمد من جده (صلى الله عليه وآله)
زهده بالدنيا وكرائم صفاته وحسن سياسته وادارته ، فهو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة التي لا يمسه
ضعف ، لكن قُدِّر له أن يعيش خيانة الكثير من أنصاره وتخاذلهم واستكانتهم للمطامع والملذات
الزائلة ، فكانت تدابيره لتلك المشاكل أبرع الحلول وأليقها بسيرة إمام .

وقف (عليه السلام) موقفه المشرف الذي حفظ الإسلام من الإنهيار واعتصم بالأمان
لشيوعته وشيعة أبيه (عليهما السلام) ، وشروط الصلح التي أخذها على معاوية قد كشفت العمق
الاستراتيجي للحسن (عليه السلام) وقد اعترض من اعترض على الإمام الحسن (عليه السلام) ،
وجاء رده (عليه السلام) بمفردات أخلاقية وموضوعية تُلزم كل من يتعمق في ردوده هذه وفي
تفسيره للأسباب والدوافع أن يُسلم بصلحه وبحكمة تدبيره التي أتاح فيها لمحبيه وللمنصفين من
جميع المسلمين أن يستدركوا أخبار من لم يستند في مقاييسه على منطق ، ولم يرجع في حكمه
إلى دليل ، ولا عنى في ارتجالياته بتحقيق أو تدقيق .

تركت معظم مصادر الحديث والتأريخ بما تحمل في طياتها انطباعاً لا يرقى لشخصية
الإمام المعصوم (عليه السلام) خاصة لدى القارئ الذي لا تربطه معه رابطة الاعتقاد بامامته
وعصمته ومنها في فهم قراراته المفصلية كالصلح ، ونعجب ممن قرأ وإطَّلَع على اقوال وخطب
الامام الحسن (عليه السلام) أما أدرك وعرف وجه الحكمة في عقده الصلح .

إن إقدامه (عليه السلام) على إبرامه الصلح مع معاوية كان يمثل شجاعة نابغة من حكمة في التعامل مع قضية مصيرية لا بُد أن يكون الحرب والسلم في خدمتها ، وأنه (عليه السلام) كان القتال والحرب مقصده قبل اتخاذ قراره بالمهادنة التي كانت قراراً طبيعياً في ظل عدم وجود الناصر ، وهو قرار أخيه الحسين (عليه السلام) حتى في السنوات التي تلت وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) إذ اوصى شيعته بالسكوت وصبر على قتل معاوية لخَلَص صحابة النبي وأمير المؤمنين والحسن (صلوات الله وسلامه عليهم) ، وترجيح الصلح على الحرب لم يكن من الأمور الغيبية ، فالصلح في نظر الإمام الحسن (عليه السلام) واقع قد فرضته الظروف ، والإمام الحسين كان رأيهِ من رأي أخيه (عليهما السلام) لأنه أيضاً يعلم واقع الأمة ، وكذلك للأسباب ذاتها التي رجح بمعرفتها الإمام الحسن (عليه السلام) السلم على الحرب آنذاك .

وحينما أقدم (عليه السلام) على ذلك القرار كان في علمه ودرأيته أن تلك الأمة لم تكن أمة يُعتمد عليها عبر تجربة طويلة عاشها معها منذ اليوم الأول لحكومة الإمام علي (عليه السلام) إلى يوم إبرامه الصلح ، وأن هذه المسائل كما عبّر عنها الإمام الحسن (عليه السلام) في كثيرٍ من خطبه وردوده ليست مسائل ذوق ، فواقع تلك الأمة وتراكمات الأحداث التاريخية والعقائدية منذ عهد النبي (صلى الله عليه وآله) وتداعياتها بتلك الصورة لا تسمح للإمام الحسن (عليه السلام) الإستمرار في المواجهة المسلحة مع معاوية .

وقد مثلت الظروف السلبية عوامل مساعدة لإتخاذ القرار ، وأيضاً كانت تمثل معوقات لاتخاذ ذلك القرار وهي الاعتراضات على الإمام المعصوم وهذه الظاهرة غير غريبة على المجتمع الإسلامي فقد عانى منها النبي (صلى الله عليه وآله) عندما إتخذ نفس القرار وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولكن الإمام الحسن (عليه السلام) عانى أكثر من رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) ؛ لأن تغلغل حالة التمرد في واقع الأمة وارتبابها من الحرب كان اعظم .

وكانت قضية الإمام الحسن (عليه السلام) بملاساتها قد لعبت الأهواء في التحدث عنها الدور الكبير في أن تفقد روعة واقعها الحقيقي ، ويُعد ذلك التلاعب المؤسف نموذجاً واحداً من

تلك القضايا الكثيرة في تاريخ الإسلام وأهل البيت التي طالتها تلك الأهواء وكُتبت وفقاً للمزاج الأموي والعباسي .

وما تقدمنا به هو مضمون ما احتوته هذه الدراسة ، وتضمنت هذه الدراسة أربعة فصول احتوى الفصل الأول مباحث في الإمامة والعصمة وأهميتها كمنصب إلهي ، ووجوب إتباع الإمام المعصوم وطاعته استناداً للقرآن والسنة ، فطاعتهم من طاعة الله ورسوله ومعرفتهم معرفة الله ورسوله ، وتلك المنزلة المختصة بالأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام ، وتظهر فائدة المعصوم في خلافته عليه السلام في قراره السديد فَمَنَعَ القاهر من التعدي ، وأخمد الفتنة ودراها عن المسلمين ، وحقق الدماء ، وحفظ الدين والرسالة من الزيغ والانحراف .

والفصل الثاني تضمن مباحث منها في استدلالاته عليه السلام وحجج توجب التسليم بصلحه وأن رعيته لا عذر لهم في اعتراضهم على صلحه وسوء الظن به لأنهم يجهلون ما يعلمه الحسن عليه السلام من الضرر الذي سيحل بهم إن هو لم يصلح ، ومن تلك الاستدلالات ذكره موقف جده في الحديبية ، وأبيه بعد السقيفة وبعد أن سمعت الأمة وصايا الرسول صلى الله عليه وآله فيه من الله تعالى وخذلان الأمة له بعد تنصيبه بغدير خم فلم ينازع ويجاهد لعدم وجود الناصر .

ومن المباحث المهمة في الفصل الثاني أيضاً استرشاده عليه السلام بالخطر على الدين وأهله وهذا يُعد من أهم الأسباب والدوافع التي صالح من أجلها وقالها مراراً في خطبه التي ذكرنا بعضها في هذا المبحث ، وتناولنا في هذا المبحث مواقف معاوية وسياساته العدوانية ضد المسلمين عامة وشيعة علي عليه السلام على وجه الخصوص رغم العهود والمواثيق التي أخذها على نفسه في الصلح وأخلّ بها بعد الصلح مباشرة .

ومن المباحث في هذا الفصل تغلغل حالة التمرد في واقع الأمة في الكوفة التي ساهمت كثيراً في عدم توفر الظروف المؤهلة للنصر ، وتصنيف دقيق لعناصر الكوفة وتأثير الحزب الأموي والخوارج فيها وأساليبهم المؤثرة التي زعزعت إيمان كثير من الناس وأحاطتهم بالشكوك والخوف والريبة ، وإلى جانب هؤلاء كان فيها شيعة الحسن عليه السلام الذين برهنوا على اخلاصهم لأهل

البيت وهم من بقايا المهاجرين والأنصار ، لكن الدعاوات والدسائس الأموية غلبت هذه القابليات النادرة والقليلة وغيرت كثيراً من تقديراتها .

ومبحثاً تناولنا فيه التهم والانطباعات السلبية التي صاغتها المصادر التاريخية ضد أهل العراق ونعتهم بالتخاذل ، وهذا انطباع سائد إلى وقتنا هذا لدى الكثير من الكتاب ، على الرغم من معرفتهم بأن التشيع لعلي وأولاده عليهم السلام قد ساد في الكوفة منذ أن اتخذها أمير المؤمنين (عليه السلام) مقراً له بعد وقعة الجمل ، ووجد معه بحكم اختلاف العناصر التي استقرت في المصر الجديد أهواء مناوئة أخرى ، فهذه الأخبار والقصص من المفارقات العجيبة التي رمت أهل العراق بالشبهات وبرأت باقي المسلمين في شتى بقاع الأرض .

والفصل الثالث تضمن مبحثاً في وحدة خطاب الإمام الحسن عليه السلام وأهدافه ومنها وأهمها حرصه على دماء المسلمين ، وجوابه على اعتراض بعض أصحابه وبيانه المصلحة في صلحه .

وأوردنا أقوال بعض العلماء والفقهاء والكتاب في مشروعية صلحه عليه السلام ووجوب المصالحة في بعض الظروف ، وكان ظرف خلافة الإمام الحسن عليه السلام من أشد المراحل خطورة على الإسلام والمسلمين ، وكون المصالحة في المصالحة أهم من العملية الجهادية .

والفصل الرابع تضمن نظرة في شروط الصلح وشذوذ بعض الروايات في ذكر شروط تتعارض وتتناقض مع سيرة الإمام الحسن عليه السلام منها شرط تسلمه الأموال من معاوية وزيادة عطائه وعطاء الإمام الحسين عليه السلام وبني هاشم على بقية المسلمين ، واستلامه الهدايا والعطايا من معاوية ، ومن المفارقات أننا لم نجد رواية واحدة تشير بأنه قد أنفقها على الفقراء كغيره من الصحابة والتابعين كما جاء في الأخبار والروايات .

ومما ورد في مادة من المواد أن لا يُشتم علياً وهو يسمع . أي الإمام الحسن يسمع . ويُعد هذا موافقة من الإمام الحسن ورضاه بسبب أبيه على أن لا يسمع ذلك ، وبيّنا فيما إذا كانت هذه الأخبار والمواد حقيقة أم تضليل .

وأوردنا دوافع تلك الرؤية السلبية التي تكونت لدى الكتاب العرب والمستشرقين وذلك الفهم القائم على السطحية الساذجة وأكاذيب الأقلام المأجورة ، ومن أين اكتسبوا هذا الفهم الخاطئ

المشوب بالعصبية ، وما هي أسباب الروايات والأخبار التاريخية الطاعنة في شخصية الإمام الحسن عليه السلام بالإضافة إلى ضعف أسانيدھا وهي من موضوعات الأمويين والعباسيين ، وأنها لا تتلائم مع سيرته عليه السلام في الزهد والعدل والانصاف .

وأوردنا مبحثاً في زهده وزهد أمير المؤمنين عليهما السلام ، وكذلك نظرة في المواقف والأخبار التي تكشف زيف تلك الروايات الطاعنة وفي تضارب تلك الأخبار والروايات والتي تتناقض مع العقل والمنطق في رواياتهم الطاعنة بسبب النبي صلوات الله عليهما ، وأن الحقيقة هي خلاف ما سطره ورووه في الإساءة إليه عليه السلام ، وأوردنا مبحثاً في التعقيب على رواة تلك الأخبار الكاذبة وأسباب ودوافع تلك الأقاويص المصطنعة .

الفصل الأول

عصمة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ووجوب طاعته

المبحث الأول

١. الإمامة

إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالونها بأرائهم ، فيقيمونها باختيارهم ، خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة ، مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه الله بها ، فأشاد بها ذكره فقال عز وجل : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) فقال الخليل سروراً بها : (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) قال الله عز وجل : (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(١) فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثم اكرمه الله عز وجل بأن جعل في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ وَأُوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)^(٢) .

وقد أورثها النبي (صلى الله عليه وآله) ذريته فقال الله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣) . فكانت له خاصة فقلدها النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بأمر الله على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان ، فهي في ولد علي (عليهم السلام) خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وآله)^(٤) .

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عدل ، ولا يوجد له بديل ولا مثيل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضل الوهاب فمن ذا يبلغ مقامه ومعرفة .

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) الأنبياء : ٧٢ - ٧٣ .

(٣) آل عمران : ٦٨ .

(٤) الطبرسي ، الاحتجاج ، ص ٥٠٤ ، احتجاج الإمام علي بن موسى الرضا ع .

إن الأنبياء والأئمة يوفهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتاه غيره ، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى : (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)^(١) .

فالإمام أعلم الناس وأحكمهم وأتقاهم وأشجعهم وأسخاهم ، فكيف للضلال الكفرة أن يتولوا أمر المسلمين ، وكيف للمسلمين رضوا بهم وأزروهم وعظموهم رغم استبدادهم بالآراء والأفعال الفاسدة بغير سبيل الحق ، واستصغروا قدر الله واحتقروا أمره وتهاونوا بعظيم شأنه .

قال الشيخ آل ياسين : إن قادة الرأي في الأمة الإسلامية منذ عهد معاوية والى يوم الناس هذا لم يفهموا من استيلاء معاوية على الأمر معنى الخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما في هذا اللفظ من معنى ، رغم الدعاوى الأموية النشيطة التي تجند لها الخلفاء الاسميون من بني أمية ومن يواليهم ، زهاء الف شهر ، هي مدة حكمهم في الإسلام^(٢) .

ويجب الاستناد للقرآن والسنة والعقل في وجوب متابعة الإمام وطاعته فقد روى الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في كتاب ينابيع المودة الباب الرابع عن فرائد السمطين للحموي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها ولن توتى المدينة إلا من قبل الباب ، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك ، لأنك مني وأنا منك ، لحمك لحمي ودمك دمي وروحك روحي وسريرتك من سريرتي وعلايتك من علايتي ، سعد من أطاعك وشقي من عصاك وريح من تولاك وخسر من عاداك ، فاز من لزمك وهلك من فارقك ، مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي ، مثل سفينة نوح ، من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق ، ومثلهم كمثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة " ^(٣) .

ومن احتجاج السيد المرتضى في تعظيم الإمامة في رسالته الموسومة بالرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة قال : ومما يدل على تقديمهم وتعظيمهم على البشر : أن الله تعالى دلنا على أن المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى ، في أنها إيمان وإسلام ، وأن الجهل بهم والشك فيهم كالجهل

(١) يونس : ٣٥ .

(٢) صلح الحسن ع ، ص ٢٦٧ .

(٣) الشيرازي ، ليالي بيشاور ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

به والشك فيه في أنه كفر وخروج من الإيمان ، وهذه منزلة ليس لأحد من البشر إلا نبينا (صلى الله عليه وآله) ، وبعده لأمر المؤمنين والأئمة من ولده (عليهم السلام) ، لأن المعرفة بنبوة الأنبياء من آدم إلى عيسى (عليهم السلام) غير واجبة علينا ، ولا تعلق لها بشيء من تكاليفنا ، ولولا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من الأنبياء المتقدمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن ، وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا ، ولا تعلق لها بشيء من أحوال تكاليفنا (١) .

يقول العلامة الحلي في نهج الحق : " ذهبت الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم من جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً ، لأنهم حفظة الشرع ، والقوامون به ، فحاله في ذلك كحال النبي ، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للإنتصاف للمظلوم من الظالم ، ورفع الفساد ، وحسم مادة الفتن ، وأن الإمام يمنع القاهرين - أي الظالمين - من التعدي ، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ، ويقيم الحدود والفرائض ، ويؤخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير ، فلو جازت عليه المعصية وصدرت منه انتفت هذه الفوائد وافترق هو إلى إمام آخر يرفع فسادَه وهكذا فيتسلسل والتسلسل باطل بالإجماع ، إذ لا بد وأن ينتهي الأمر إلى إمام لا تصدر المعصية منه أبداً " (٢) .

كذلك ولا ريب أنه من أول الأمور على إمامة أهل البيت "عليهم السلام" إذ لا يكون المكلف أماناً لأهل الأرض إلا لكرامته على الله تعالى وامتيازته في الطاعة والمزايا الفاضلة مع كونه معصوماً ، فإن العاصي لا يأمن على نفسه فضلاً عن أن يكون أماناً لغيره، ولا سيما إذا كان عظيماً فإن المعصية من العظيم أعظم والحجة عليهم ألزم، فإذا كانوا أفضل الناس ومعصومين فقد تعينت الإمامة لهم مادامت الأرض كما هو مذهبنا، وقد جعل الله هذه الكرامة لنبيه "صلى الله عليه وآله" قبل أهل بيته فقال سبحانه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (٣) (٤) .

(١) الاحتجاج ، ص ٥٩٠ .

(٢) الشيخ المظفر ، دلائل الصدق ، ج ٢ ، ص ٣ ، نقلاً عن نهج الحق .

(٣) الأنفال : ٣٣ .

(٤) دلائل الصدق ، ج ٢ ، ص ٣ .

وقد عدَّ ابن حجر الهيثمي المكي تلك الآية من الآيات النازلة في أهل البيت (وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) فقال : أشار إلى النبي (صلى الله عليه وآله) إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو (صلى الله عليه وآله) أماناً لهم ، وفي ذلك أحاديث كثيرة ، وأن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل دوامها بدوامه ، ودوام أهل بيته ، لأنهم يساوونه في أشياء ، وقال في حقهم : " اللهم إنهم مني وأنا منهم " ، ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم بضعته فأقيموا مقامه في الأمان (١) .

قال الشيخ الصدوق : وأخرج أحمد بن حنبل بإسناده من طريق أنس بن مالك قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون " ، وقال أحمد : إن الله خلق الأرض من أجل النبي (صلى الله عليه وآله) فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته (٢) .

وروى الحموي الشافعي بسنده عن محمد الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " يا علي اكتب ما أملي عليك ، قلت : يا رسول الله أتخاف عليّ النسيان ؟ قال : لا وقد دعوت الله عز وجل أن يجعلك حافظاً ، ولكن أكتب لشركائك الأئمة من ولدك ، بهم تسقى أمتي الغيث ، وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف عن الناس البلاء ، وبهم تنزل الرحمة من السماء ، وهذا أولهم وأشار إلى الحسن ، ثم قال : هذا ثانيهم وأشار إلى الحسين والأئمة من ولده رضي الله عنهم " (٣) .

وهم أهل الذكر في قوله تعالى : (فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون)^٤ وذلك يقتضي علم المسؤولين كل مسؤول عنه ، وعصمتهم فيما يفعلونه ويخبرون به ، لقبح تكليف الرد دونهما ، ولا أحد قال بثبوت هذه الصفة لأهل الذكر إلا خص بها من ذكرناه من الأئمة عليهم السلام وقطع بإمامتهم^(٥) .

(١) الصواعق المحرقة ، ص ٩١ و ص ١٤٠ .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٣١٢/١ .

(٣) فرائد السمطين : ٣٣/١ .

(٤) النحل : ٤٣ . الأنبياء : ٧ .

(٥) أبو الصلاح ، تقريب المعارف ، ص ١٧٩ .

٢. العصمة

الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم من جميع القبائح والفواحش ، فهم يحفظون الشرع كالنبي (صلى الله عليه وآله) ، وفائدة المعصوم وأهمية الحاجة إليه لرفع الفساد وانصاف المظلوم ومؤاخذة الفساق ، وهو لطف من الله تعالى لمنع القاهر من التعدي ، وهذا ما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) بتوفيق عصمته .

وبما أن الإمامة امتداد للرسالة ، يجري فيها ما تقدم في النبوة ، وإلا فيكون قد ائتمن على الشريعة من لا يمكنه حفظها ، وهو تكليف بما لا يطاق ، وهو محال على المولى الحكيم ، فالعصمة التي أخذت فيمن يحمل الرسالة ابتداءً ، يفترضها لمن يحملها بقاءً ، لأن العلة التي اقتضتها ابتداءً بالنبي (صلى الله عليه وآله) هي التي توجب استمرارها بالوصي ، وهذا معنى وحدة الملاك بين النبي والوصي (١) .

ولا هدف وراء إنزالها إلا تبليغها وبقائها ، ويأبى العقل إلا أن يكون القائم على دوامها معصوماً أيضاً ، إذ لو لم يكن معصوماً لأضاع ما كلف به ، عن قصد أو غير قصد ، ومعنى غير المعصوم أنه كبقية أفراد جنسه ، تلازمه عناصر الضعف تملي عليه تصرفاته المنافية للواقع المراد ، وتحميل الله رسالته لمن يضيعها ولو جزئياً يكون نقضاً لغرضه ، والزاماً منه سبحانه بالمفسدة لأمرنا بامتثال أوامره ، وتقويتاً لمصلحة الواقع على المكلفين ، وكل تلك اللوازم مستحيلة على المولى الحكيم ، وحافظ الرسالة بقاءً لا بد أن يكون معصوماً أيضاً ، وإلا لزم تضييعها (٢) .

فالإمام المعصوم يجب أن يكون أفضل من رعيته في تدارك فتك المجرمين ، وأولى الناس بالحفاظ على المسلمين من الفتك والقتل وانتهاك الحرمات ، والعصمة نوع من العلم الإلهي وكشف دائم يهدي للواقع الذي يريده الله تعالى يمن الله تعالى به على عباده ، ذلك تقدير الإمام الحسن (عليه السلام) ، وحرّي باولئك المتسرعين - وهم قد شهدوا مفاصد الأمويين - أن يشكروا فضله ؛ لأن معاوية لا يخفى على أحد أمره ، ولا هم من الطبقة الذين يجهلون أمثاله ممن لعنهم الله تعالى في كتابه الكريم ولعنهم النبي (صلى الله عليه وآله) وسرى لعنه على السنة المسلمين .

(١) فضل الله ، عبد المحسن ، الإسلام وأسس التشريع ، ص ٩٦ .
(٢) المصدر نفسه .

إن شرط الإمامة عندنا العصمة وهي من الأمور الخفية الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، وبذلك فقدسية الإمام المعصوم مستمدة من ذلك المنصب الإلهي الذي تجب له الطاعة كما تجب للنبي (صلى الله عليه وآله) ، وهي ظل للنبوة بمعناها الذي يتصل بالسماء عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله) فهو مصدر روحيتها والنص عليها .

قال الله تعالى : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(١) فالإمامة منصب إلهي لا يناله كل من تلبس بالظلم والعدوان والفجور ، وهي دعوة منتهية إتخذ الله محمداً (صلى الله عليه وآله) نبياً وعلي (عليه السلام) الوصي ومن بعده الحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) .

إن الله تعالى قد طهر الإمام الحسن (عليه السلام) من الرجس ، ولو كان معيباً ما كان مطهراً ، والله الذي شهد له بالطهارة كان عالماً أنه سوف يصلح معاوية ، لأن صفات الحسن وأفعاله باطنها وظاهرها وأولها وآخرها كانت بالنسبة إلى علم الله كلها جميعها حاضرة ، فإذا حكم له بطهارة اقتضى ذلك طهارة الحسن باطناً وظاهراً وأولاً وآخرراً وحاضراً ومستقبلاً^(٢) .

قال السيد المرتضى: فإن قال قائل: ما العذر له في خلع نفسه من الإمامة وتسليمها إلى معاوية مع ظهور فجوره وبعده عن أسباب الإمامة وتعريه من صفات مستحقها، ثم في بيعته وأخذ عطائه وصلاته وإظهار موالاته والقول بإمامته هذه ، مع وفور أنصاره واجتماع أصحابه ومتابعة من كان يبذل عنه دمه وماله، حتى سموه مذل المؤمنين وعاتبوه في وجهه عليه السلام ؟ .

قلنا: قد ثبت أنه عليه السلام الإمام المعصوم المؤيد الموفق بالحجج الظاهرة والأدلة القاهرة، فلا بد من التسليم لجميع أفعاله وحملها على الصحة ، وإن كان فيها ما لا يُعرف وجهه على التفصيل ، أو كان له ظاهر ربما نفرت النفوس عنه^(٣) .

وقال الشيخ المفيد : " إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام ، وإقامة الحدود ، وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء لاتجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة ،

(١) البقرة : ١٢٣ .

(٢) ابن طاووس ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ٢٥٨/١ .

(٣) تنزيه الأنبياء ، ص ١٦٩ .

ولا سهو في شئ من الدين ، ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذاهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم" (١) .

فلتتبه العقول ولتسلم لصواب جميع أقواله وأفعاله فإنه أحد الخمسة أصحاب الكساء ، وأحد الاثني عشر الذين فرض الله طاعتهم على العباد، وأحد الذين جعل الله مودتهم أجراً للرسالة ، وجعلهم أحد الثقلين اللذين لا يُضل من تمسك بهما، وهو ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحببيه الذي يحبه ويدعو الله أن يحب من يحبه، وهو أحد المطهرين من الرجس في الكتاب بقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (٢).

قال ابو بكر الحضرمي: والذي قال به الجماهير من العلماء، وقطع به أكابر الاثمة، وقامت به البراهين وتضافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم سيدنا علي وفاطمة وابناهما، وكان تخصيصهم بذلك منه "صلى الله عليه وآله" إلا عن امرٍ إلهي ووحى سماوي، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما اورده منها يُعلم قطعاً أن المراد بأهل البيت في الآية هم علي وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم ، ولا التفات الى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيصهم "عليهم السلام" بكونهم أهل البيت من أقوال الشيعة، لأن ذلك محض تهور يقتضي العجب، وما في كتب أهل السنة السنية يسفر الصبح لذي عينين . إلى أن يقول : وقد أجمعت الأمة على ذلك فلا حاجة لإطالة الاستدلال له (٣).

وقال قول مجاهد وقتادة وأبي سعيد الخدري وغيرهم: إنها لو نزلت في نساءه "صلى الله عليه وآله" خاصة لكان الخطاب في الآية الكريمة بما يصلح للأناث، ولقال تعالى: عنكّنّ ويطهركننّ، كما في الآية قبلها (٤).

وقال المقرئ: قال السيد خاتمة المحققين يحيى بن عمر: من المعلوم المقطوع به عند أهل السنة أن ارادته تعالى أزلية وأنها من صفات الذات القديمة بقدمها الدائمة دوامها، وقد علق

(١) أوائل المقالات ، ص ٧٦ .

(٢) سورة الاحزاب: من الآية ٣٣ .

(٣) رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي، الباب الاول، ص ١٣-١٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢ .

الله تعالى الحكم بها، إذ أحكام صفات الذات القديمة وقيام الحوادث بها، وكل منهما يستحيل قطعاً تعالى الله عن ذلك ، حتى قال جمع من المشايخ العارفين: يجب على كل مسلم أن يعتقد أن لا تبديل لما إختص الله تعالى به أهل البيت بما أنزل الله فيهم، إذ شهادته لهم بالتطهير وازهاب الرجس عنهم في الأزل على الوجه المذكور ، وحديث أبي سعيد هذا صححه الحاكم والذهبي في المستدرک وتلخيص المستدرک^(١).

وأورد المقرئزي قول العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي في كتاب الاشارات الإلهية في المباحث الأصولية قوله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) احتج بها الشيعة على أن أهل البيت معصومون، ثم على ان إجماعهم حجة ، أما أنهم معصومون فلأنهم طهروا ، وأذهب الرجس عنهم ، وكل من كان كذلك فهو معصوم .

اما الأولى فلنص هذه الآية ، واما الثانية فلأن الرجس إسم جامع لكل شر ونقص ، والخطأ وعدم العصمة ، فيكون ذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم ، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد ، العصمة بالجملة ثابتة لهم .

وايضاً فلأن الله عز وجل طهرهم ، وأكّد تطهيرهم بالمصدر حيث قال: (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً) أي يطهركم من الرجس وغيره تطهيراً ، إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم من كل ما ينبغي التطهير فيه عرفاً، أو عقلاً، أو شرعاً، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك ، فيكونون مطهرين منه ، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم وعصمتهم .

وقال : ثم أكّدوا دليل عصمتهم من الكتاب والسنة في علي "عليه السلام" وحده ، وفي فاطمة "عليها السلام" وحدها، وفي جميعهم .

أما دليل العصمة في علي "عليه السلام" فلما ثبت أن النبي "صلى الله عليه وآله" لما أرسله على اليمن قاضياً ، قال "صلى الله عليه وآله" : اللهم إهد قلبه وسدد لسانه . قالوا: قد دعا له بهداية القلب وسداد اللسان، واخبره بأن سيكونان له، ودعاؤه "صلى الله عليه وآله" مستجاب ، وخبره حق وصدق ، ونحن لا نعني بالعصمة الا هداية القلب للحق، ونطق اللسان بالصدق، فمن كان عنده للعصمة معنى غير هذا، أو ما يلازمه فليذكره .

وأما دليل العصمة في فاطمة "عليها السلام" فقولها "صلى الله عليه وآله" : " فاطمة

(١) فضل آل البيت، ص ٩٠ نقلاً عن رشفة الصادي، ص ٤٧.

بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيني ما آذاها . والنبي "صلى الله عليه وآله" معصوم ، فبضعته أي جزؤه والقطعة منه يجب أن تكون معصومة .

وأما دليل العصمة في جميعهم أعني علياً وفاطمة وولديهما "عليهم السلام" فلقوله "صلى الله عليه وآله" : " إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض " (١) .

ووجه دلالة أنه لازم بين أهل بيته والقرآن الكريم المعصوم ، وما لازم المعصوم فهو معصوم .

قالوا: وإذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون اجماعهم حجة لإمتناع الخطأ والرجس عليهم بشهادة السمع المعصوم، وإلا لزم وقوع الخطأ وأنه محال(٢).

وقال المقرئزي: واعترض الجمهور بأن قالوا: لا نُسَلِّمُ أن أهل البيت في الآية من ذكرتم ، بل هم نساء النبي "صلى الله عليه وآله" بدليل سياقها وانتظام ما استدلتتم به معه، فإن الله تعالى قال: (يانِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ) (٣) ثم استطردها إلى أن قال: (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

(١) اشارة إلى حديث الثقلين ففي شرح معنى الثقلين قال العلامة شرف الدين الطيبي في كتابه (الكاشف) شرح على المشكاة عند شرحه الحديث السادس من الفصل الأول وهو حديث رواه زيد بن أرقم قوله الثقلين: الثقل المتاع المحمول على الدابة وإنما قيل للإنس والجن الثقلان لأنهما قطان الأرض فكأنهما ثقلاها، وقد شبه بها الكتاب والعترة لأن يستصلح بها ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين، وقيل سماها ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، وقيل في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) أي أوامر الله ونواهيه لأنه لا تؤدي إلا بتكلف ما يتقل، وقيل (قَوْلًا ثَقِيلًا) أي له وزن، وسمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان، وكل شيء له وزن وقدر يتنافس فيه فهو ثقل، قوله (أذكركم الله في أهل بيتي) أي أذكركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم لا تؤذوهم واحفظوهم والتذكير بمعنى الوعظ، يدل عليه قوله ووعظ وذكر .

وما قاله الشيخ محمد عبده في التعليق على الخطبة ٨٥ من خطب نهج البلاغة وهذا نصه بالحرف: الثقل هنا بمعنى النفيس من كل شيء وفي الحديث عن النبي "صلى الله عليه وآله" قال: تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

واخرج القندوزي الحنفي حديثاً آخر عن أبي ذر وهذا نصه: قال: أخرج سليم بن قيس في كتابه قال: بينا أنا وحبش بن مبشر بمكة إذ قام أبو ذر فقال: أيها الناس إني سمعت نبيكم "صلى الله عليه وآله" يقول: "مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها هلك" ، ويقول : "مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له" ، ويقول : "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" . (ينابيع المودة ، ص ٢٨)

(٢) المقرئزي، فضل آل البيت، ص ٦٨٠٦٠ .

(٣) سورة الاحزاب: من الآية ٣٢ .

أهل البيت وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ، واذكُرْنَ ما يُتلى في بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) .
 فما ثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه بقي بعد نزول هذه الآية ستة اشهر يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة (عليها السلام) فينادي الصلاة يا أهل البيت: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ورواه الترمذي وغيره . وهو تفسير منه لأهل البيت بفاطمة ومن في بيتها "عليهم السلام" وهو نص.
 وأنص منه حديث ام سلمة أنه (صلى الله عليه وآله) أرسل خلف علي، وفاطمة، وولديهما "عليهم السلام"، فجاءوا فأدخلهم تحت الكساء، ثم جعل يقول: " اللهم إنيك لا إلى النار، اللهم هؤلاء لأهل بيتي وخاصتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " ، قالت أم سلمة : فقلت يا رسول الله ، ألسنت من أهل بيتك؟
 قال: "أنت إلى خير " ، وهو نص في أهل البيت، ظاهر في أن نساءه لسنَ منهم، لقوله لأم سلمة: " أنت إلى خير " ، ولم يقل: بلى انت منهم^(١).
 وروي في مصادر كثيرة^(٢).

(١) فضل آل البيت ، ص ٦٨ .

(٢) قال الطحاوي في مشكل الآثار ج ١، ص ٢٣٠ بعد ذكره طرق حديث الكساء: مما ينص على ان حديث ام سلمة يؤكد أن المراد بأهل البيت هم رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين "عليهم السلام". وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٤٣: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ) أكثر المفسرين قالوا إنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين "ع". وقال السهوي في جواهر العقدين، ص ٢٠٤، الباب الأول، بعد ذكر الاحاديث في اقامة النبي له مقام نفسه وذكر آية المبالغة وانها فيهم: وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في الآيتين (المبالغة والتطهير)، والألوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني ج ١٢، ص ٢٤ مورد الآية قال: يقتضي أن النساء المطهرات غير داخلات في اهل البيت الذين هم احد الثقلين. وقال الشيخ الشبلنجي في نور الابصار، ص ١٢٢: هذا ويشهد للقول بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين ما وقع منه حين أراد المبالغة هو ووفد نجران كما ذكر المفسرون. وروى حديث ام سلمة هذا ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين "ع" من تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٩١.٨٩، ح ٨٧.٨٥، ومعجم الطبراني، ج ٣، ص ٥٢، ومسند احمد، ج ٦، ص ٢٩٨. وغيرها. وقال ابن الصباغ المالكي في مقدمة كتابه الفصول المهمة، ص ٢٢: وعلى ما روي عن ام سلمة أن اهل البيت هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. والكنجي في كفاية الطالب، ص ٥٤: الصحيح أن اهل البيت علي وفاطمة والحسنان "عليهم السلام". والقندوزي في يناعه، ج ١، ص ٢٩٤ قال : إن اكثر المفسرين قالوا على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم ويظهركم.

اخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل البيت "عليهم السلام" عن عائشة قالت: خرج النبي (صلى الله عليه وآله) غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود () ، فجاء الحسن بن علي "عليهما السلام" فادخله ثم جاء الحسين "عليه السلام" فدخل معه، ثم جاءت فاطمة "عليها السلام" فادخلها، ثم جاء علي "عليه

إن الله تعالى يخاطب النساء بتحذير ونهي ويجب عليهن أن يبالغن في امتثال هذه التكاليف وأن يحتطن في دين الله أكثر من سائر النساء، ويؤكد على أن هذا التكليف فيه مضاعفة جزائهن خيراً أو شراً: (يانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ...) ، ثم أكد الله عز وجل على تمييز وتعيين أهل البيت "عليهم السلام" بتغيير الخطاب في آية التطهير الى أهل البيت وهم أصحاب الكساء إذ قال: (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا) ولم يقل: ويطهركن وكما قال الحضرمي: بما لا يصلح للأناث، حرصاً من الله تعالى لبيان عصمة وطهارة أهل البيت المشار اليهم في الآية .

وقوله تعالى: (إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرًا حَافِيًا ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ...) .

ونقول هنا إن آية التطهير لا تشمل نساء النبي "صلى الله عليه وآله" على اعتبار أن الله تعالى قد إستثنى بعض نساء النبي "صلى الله عليه وآله" في (من التبعضية) (مِنْكُنَّ) في قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) .

وكذلك لا يمكن إنكار حديث الثقلين وهو من الأدلة القاطعة على أن هذه الآية في علي وفاطمة والحسن والحسين "عليهم السلام" إذ قال "صلى الله عليه وآله" "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً" ، أي ان التخلي عن أحدهما يؤدي الى الضلالة ، وفي التمسك بهما الهداية ، فإذا كانت نساء النبي في هذه الآية هم أهل البيت فالأولى أن يكون حديث الثقلين فيهما أيضاً، فالمعلوم أن نساء النبي هم غير عترته ، وحديث الكساء هو خير دليل على أن علي وفاطمة والحسن والحسين "عليهم السلام" هم أهل البيت المعنيون في آية التطهير دون نساء النبي "صلى الله عليه وآله"

السلام" فادخله ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ، واورده الترمذي في تفسيره لسورة الاحزاب في سننه قال نزلت هذه الآية على النبي "صلى الله عليه وآله" في بيت ام سلمة، فدعا النبي "صلى الله عليه وآله" فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء وجلل علياً بالكساء ايضاً ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . صحيح مسلم ١٣٠/٧ .

ورواه الواحدي في أسباب النزول، ص ٢٣٩ عن أبي سعيد الخدري . ورواه الهيثمي قال: ورواه الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد الخدري (مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٩) . وابن عدي ايضاً في ترجمة هارون بن سعد في كتابه الكامل والثعلبي في تفسير الآية الكريمة من تفسيره ايضاً . (الثعلبي، الكشف والبيان، ج٢، ص١٣٩) .

بشهادة حديث أم سلمة رضوان الله تعالى عليها عندما قالت . بعد أن ضمَّهم "صلى الله عليه وآله" بأمر الله عز وجل بالكساء . ألسنت من أهل البيت؟ قال: " أنتِ على خير إنك من أزواج النبي " .

وأخرج ابن عساكر عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي "صلى الله عليه وآله" قال: حين نزلت: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)^(١) كان يجيء نبي الله "صلى الله عليه وآله" إلى باب علي "عليه السلام" صلاة الغداة ثمانية أشهر ويقول: الصلاة رحمكم الله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(٢).

وأخرجه الحاكم النيسابوري وقال الحاكم والذهبي أيضاً: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(٣).

وروى الحاكم عن عطاء عن ابن أبي رباح قال : حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي "صلى الله عليه وآله" كان في بيتها فأنته فاطمة "عليها السلام" ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامه له، وكان تحته كساء حبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله تعالى هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يديه فألوى بهما الى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك الى خير، إنك الى خير^(٤).

وروى البخاري عن أثال بن قره ، قال النضر بن محمد: حدثنا عكرمة قال: حدثنا أثال وشعيب بن أبي المنيع عن شهر سمع أم سلمة تقول : إن فاطمة "عليها السلام" جاءت وهي متوركة الحسن أو الحسين "عليهما السلام" آخذة

(١) سورة طه: من الآية ١٣٢ .

(٢) تاريخ دمشق : ١٣٦/٤٢ ، ترجمة أمير المؤمنين ع .

(٣) المستدرک على الصحيحين، باب مناقب فاطمة "ع" : ١٥٨/٣ .

(٤) المصدر نفسه .

بيد آخر معها برمة فيها سخينة، فقال النبي "صلى الله عليه وآله": أين أبو الحسن؟ فقالت: في البيت، فأرسل إليه، قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، قال أبو عبد الله: شهر يتكلمون فيه (١).

وذكر البخاري: قال أبو يحيى: أخبرنا علي بن ثابت الدهان أخبرنا أسباط عن السدي عن بلال بن مرداس عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قال النبي "صلى الله عليه وآله": هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس (٢).

ومن رواية فاطمة الزهراء "عليها السلام" رواه الهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني في المعجم الكبير واللاوسط وان فاطمة "عليها السلام" أتت النبي "صلى الله عليه وآله" فبسط لها ثوباً فاجلسها عليه ثم جاء ابنها الحسن "عليه السلام" فأجلسه معها ثم جاء الحسين "عليه السلام" فأجلسه معها ثم جاء علي "عليه السلام" فأجلسه معهم، ثم ضم عليهم الثوب ثم قال: اللهم هؤلاء مني وأنا منهم ارض عنهم كما أنا عنهم راضي (٣).

وروى ابن المغازلي في مناقبه، من رواية ام سلمة للحديث. قول الشاعر:

بأبي خمسة هم جنبوا	الرجس وطهروا تطهيرا
أحمد المصطفى وفاطمة أعني	علياً وشبراً وشبيرا
من تولاهم تولاه ذو العرش	ولقاه نضرة وسرورا
وعلى مبغضهم لعنة الله	واصلاهم المايك سعيرا (٤)

وعن أبي هريرة عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة "عليها السلام" إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله" ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك وابنك؟ قالت: في البيت، قال: ادعهم، فجاءت إلى علي "عليه السلام" فقالت: اجب رسول الله أنت وابنك، قالت ام سلمة: فجاء علي "عليه السلام" آخذاً بيد الحسن والحسين "عليهما السلام"، وفاطمة "عليها السلام" خلفهم فلما رأهم مقبلين مد يده إلى كساء كان تحتها على المنامة فبسطه فاجلسهم عليه، واخذ بأطراف الكساء

(١) التاريخ الكبير: ٧٠ / ٢، ح ١٧٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٩، المعجم الكبير، ح ١٣٤، في ترجمة الامام الحسن "ع" رقم ٢٦٦٢.

(٤) مناقب أمير المؤمنين "ع"، ح ٣٥١، ص ٣٠٦.

الاربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم والوى يده اليمنى فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا^(١).

٣ . الأحاديث في فضل الإمام الحسن (عليه السلام)

كان النبي (صلى الله عليه وآله) يؤكد على ذلك الدور الذي كان ينتظر الإمام الحسن (عليه السلام) وأخاه (عليهما السلام) منها قوله (صلى الله عليه وآله) : (إنَّهما إمامان قاما أو قعدا)^(٢) ، وكان الحسن (عليه السلام) الأكثر استيعاباً لنبوءة جده (صلى الله عليه وآله) هذه غلب بها سائر المسلمين ، وكان الأجدر بالمسلمين فهم حديث نبيهم صلى الله عليه وآله ، وأن يلتزموا به وأن يطيعوه في قوله وأن الحسن والحسين عليهما السلام في كل من الحالين لا يجوز الخلاف عليهما على اختلاف حالهما في القيام والقعود .

قال (صلى الله عليه وآله) : (أنتما الإمامان، ولأئمكما الشفاعة)^(٣).

وقوله (صلى الله عليه وآله) للحسين : (أنت سيد، ابن سيد، أخو سيد، وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم)^(٤).

وقوله (صلى الله عليه وآله) للحسن (عليه السلام) : (هو سيد شباب أهل الجنة ، وحجة الله على الأمة، أمره أمرى، وقوله قولى، من تبعه فإنه منى، ومن عصاه فإنه ليس منى)^(٥).

(١) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل : ١٠٤/٢ .

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ، ص ٢٢٠ . الأريلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١٥٩/٢ . الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ٢١١ / ١ . المناقب لابن شهر آشوب، ٣٦٧/٣ . توفيق أبو علم، أهل البيت، ص ٣٠٧ .

(٣) ينابيع المودة ، ص ١٦٨ ؛ الحر العاملي ، إثبات الهداة ، ٥ / ١٢٩ .

(٤) الحموي الشافعي ، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين : ٣٥/٢ . الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٠١ .

(٥) سنن ابن ماجة : ١٥/١ .

قال السيد ابن طاووس : كيف يقع من أحد سيدي شباب أهل الجنة ما يُعاب به، وفي الجنة من الشباب مثل عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا (عليهم السلام) وغيرهما مما لا يُعاب من الأولياء (١) .

وقال الشيخ آل ياسين : ما هو سر الطفرة التي جاوزت بهذا الحديث عالماً بكامله ، لتضيف الحسن إلى عالم آخر ، غائب غير حاضر؟ ، إنه ليغيب عن الذهن "اليوم" التنبه إلى هذا الاستفهام، لأن الذهن حين يلتفت اليوم إلى الحسن (عليه السلام) وقد اختاره الله إليه - لا يتصوره إلا سيدياً من سادات الجنة، فليكن سيد شبابها ، ثم لا يفتن إلى نسبة هذه السيادة للدنيا ، ولأن القرون " الأربعة عشر" لاكت الحديث وروته في مختلف المناسبات، كأكثر ما يروى في مناسبة حتى أصبح كأنه كلمة واحدة لا يفهم الناس منها إلا حسناً وحسيناً ، دون ما تنبه إلى الاستفهام ، ترى ، فهل فهم الناس منه، يوم صدر من مصدر بلاغته الأول ، ما أراد به ذلك البليغ العظيم (صلى الله عليه وآله)؟ (٢) .

إن إخراج الحسنين (عليهما السلام) في قضية المباهلة لم يكن أمراً عادياً ، وإنما كان مرتبطاً بمعاني ومداليل كثيرة وعظيمة منها أنه (صلى الله عليه وآله) يعتبرهم القمة في النضج الرسالي والمثل الأعلى لتحمل الأمانة الإلهية وقيادة الأمة قيادة حكيمة وواعية.

قال الزمخشري كما أجمع عليه المفسرون أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين (عليهما السلام) فيه دليل - لا شيء أقوى منه - على فضل أصحاب الكساء (٣).

وقال ابن أبي علان وهو احد أئمة المعتزلة : هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين ، وهذا دلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم ومما يؤيده من الأخبار قول النبي "صلى الله عليه وآله" : "بناي هذان إمامان قاما أو قعدا" ، ويجوز أن يخرق الله العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم، أما (نساءنا) اتفقوا على ان المراد به فاطمة "عليها السلام" لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، ويعضده ما جاء في الخبر ان النبي "صلى الله عليه وآله" قال: (فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها) كما جاء عن رسول الله "صلى الله عليه وآله" (إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها) وقد

(١) الطرائف : ٢٨٤/١ .

(٢) صلح الحسن ع ، ص ١٨٤ .

(٣) تفسير الكشاف ، ٣٧٠/١ . الصواعق المحرقة ، ص ١٥٣ . الإرشاد ، ص ٩٩ . تفسير الميزان ، ٢٣٨/٣ .

صح عن حذيفة انه قال: سمعت رسول الله "صلى الله عليه وآله" يقول: أتاني ملك فبشطني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء أمتي، (وأنفسنا) يعني علياً "عليه السلام" خاصة، ولا يجوز أن يكون المعني به النبي "صلى الله عليه وآله" لأنه هو الداعي ولا يجوز أن يدعو الانسان نفسه وانما يصح أن يدعو غيره، وإذا كان قوله وانفسنا لا بد أن يكون اشارة إلى غير رسول الله "صلى الله عليه وآله" وجب أن يكون اشارة إلى علي "عليه السلام" لأنه لا أحد أن يدعي الدخول غير أمير المؤمنين وزوجته فاطمة وولديه الحسن والحسين "عليهما السلام" في المباهلة، وهذا يدل على غاية الفضل وعلى الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد ، إذ جعله الله نفس الرسول "صلى الله عليه وآله" وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه، ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي "صلى الله عليه وآله" قوله لبريدة الأسلمي: " يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه، ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة "، وقال "صلى الله عليه وآله" بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته اياه بنفسه حتى قال جبرئيل: " إن هذا لهي الموآسة " .

فقال "صلى الله عليه وآله" : " يا جبرئيل إنه مني وأنا منه " ، فقال جبرئيل : " وانا منكما " .

وهذا نص كلام ابن أبي علان (١).

وقال السيد ابن طاووس : إن الله تعالى لما باهل به كان عالماً أنه يصلح معاوية ، فلو كان ممن يعاب ما باهل به وبجماعته وترك غيرهم من الشيوخ والشباب (٢) .

وقبل أن يرحل جده (صلى الله عليه وآله) عن آفاق هذا البيت الكريم يضع الحفيد - وهو حصيلة الميراث - على عاتقه وهو يقول " اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه " (٣) .

(١) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج ٢ ، تفسير آية المباهلة .

(٢) الطرائف ، ١ / ٢٨٧ .

(٣) صحيح البخاري : ٧ / ٥٥ ؛ سنن ابن ماجة : ١ / ٥١ ؛ صحيح الترمذي : ٩٨٩ .

المبحث الثاني

١ . النص بلزوم طاعة ولي الأمر

خطب الحسن بن علي "عليهما السلام" بعد بيعة الناس له بالأمر فقال : " نحن حزب الله الغالبون، ونحن عتره رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين الذين خلفها جدي "صلى الله عليه وآله" في أمته، ونحن ثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا تفسيره ، لا نتظن تأويله، بل نتيقن حقائقه ، فاطيعونا فإن طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله مقرونة، قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١) وقال عز وجل: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ)^(٢) ، واحذركم الإصغاء لهاتف الشيطان فإنه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون)^(٣) . فستلقون للرماح وريداً ، وللسيوف جزراً ، وللعُمد حطماً ، وللسهام غرضاً ، ثم لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً " ^(٤) .

فطاعة الله هي الأصل وطاعة الرسول وأولي الأمر إنما هي تتبع لطاعة الله ، ومن الواضح أن من يأمر الله تعالى بطاعته ويجعل هذه الطاعة له كطاعته سبحانه لا بد أن يكون ما يأمر به كأمر الله ، ولا بد أن يكون متصفاً بصفات خاصة منها العصمة ومنها العلم اليقيني ، وإلا فإن الله تعالى لا يأمر بطاعة من يجوز أن تصدر منه معصية أو خطأ أو جهل أو الأمر بالقبیح ، وهذه الطاعة المطلقة ما أمر بها الله تعالى إلا وفيها المصلحة والنجاة للإسلام والمسلمين ، خاصة بعد أن تغشت الفتن في جيش الإمام الحسن (عليه السلام) ولم

(١) سورة النساء : من الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء: من الآية ٨٣ .

(٣) الأنفال : ٤٨ .

(٤) راضي آل ياسين، صلح الحسن ع ، ص ٥٩ . ٦٠ . وقال روى هذه الخطبة هشام بن حسان . وقال - أي هشام - : إنها بعض خطبته بعد البيعة له بالأمر . وانظر البحار ، ١٠ / ٩٩ . والمسعودي ، مروج الذهب : ٢ / ٤٨٠ .

يعد لذلك الجيش من الاستقرار ما يستطيع به الثبات ، فإن لم يتسنَّ لهم قتال معاوية فليقتلوا الحسن (عليه السلام) إمامهم، وإن لم يمكنهم الفرار لمعاوية - كما فعل أمثالهم - فليكتبوا إلى معاوية ليجيء هو إليهم ، فلا هم امتثلوا لولي أمرهم وأطاعوه في حربه ، ولا هم سلموا له وعذروه في صلحه .

قال الألوسي البغدادي في تفسيره لآية أُولِي الأَمْرِ: إن الصلاح في الآية إشارة إلى الولاية وأن المنازل أربعة الأول منازل الانبياء وهم الذين تمدهم قوة إلهية وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية ومثلهم كمن يرى الشمس عياناً من قريب ولذلك قال تعالى : (أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى) (١) ، والثاني منازل الصديقين من بعد رسول الله "صلى الله عليه وآله" كمن يرى الشيء عياناً من بعيد وهو علي ابن أبي طالب "عليه السلام" حيث قيل له : هل رأيت الله تعالى؟ فقال "عليه السلام": " ما كنت لأعبد رباً لم أره " ، ثم قال: " لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان " ، والثالث منازل الشهداء وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين ثم منازل الصالحين (٢).

وروي عن أبان أنه دخل على أبي الحسن الرضا "عليه السلام" قال: فسألته عن قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) فقال "عليه السلام": " ذلك علي ابن أبي طالب "عليه السلام" ، ثم سكت، قال: فلما طال سكوته. قلت: ثم من ، قال: " ثم الحسن "عليه السلام" . ثم سكت ، فلما طال سكوته . قلت: ثم من؟ قال : " الحسين "عليه السلام" . قلت: ثم من؟ قال: " ثم علي ابن الحسين "عليه السلام" ، وسكت ، فلم يزل يسكت عند كل واحد حتى أُعيد المسألة فيقول فسماهم الى آخرهم (٣).

وروي الحاكم الحسكاني عن أبي بصير، عن أبي جعفر "عليه السلام" أنه سأله عن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) قال: " نزلت في علي بن أبي طالب "عليه السلام" . قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن

(١) سورة النجم: الآية ١٢ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج ٢، تفسير سورة النساء .

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب ابي طالب : ٢ / ٢١٩ نقلاً عن تفسير مجاهد .

يسمى علياً وأهل بيته "عليهم السلام" في كتابه؟

قال أبو جعفر "عليه السلام" : " قولوا لهم: إن الله أنزل على رسوله "صلى الله عليه وآله" الصلاة ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله "صلى الله عليه وآله" هو الذي فسّر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا سبعا، حتى فسّر ذلك لهم رسول الله "صلى الله عليه وآله" ، وأنزل (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فنزلت في علي والحسن والحسين "عليهم السلام"، وقال رسول الله "صلى الله عليه وآله" : اوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك " (١) .

وفي تفسير الطباطبائي للصرط المستقيم وهداية اولياء الله للعباد يقول : يتبين أن الطرق إلى الله مختلفة كمالاً ونقصاً وغلاتاً ورخصاً في وجهة قربها من منبع الحقيقة، والصرط المستقيم كالإسلام والإيمان والعبادة والاخلاص والاخبات، كما أن مقابلاتها من الكفر والشرك والجحود والطغيان والمعصية كذلك قال الله تعالى: (ولكلّ درجاتٍ مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)(٢).

وهذا نير المعارف الإلهية التي تتلقاها العقول من الله فإنها مختلفة باختلاف الاستعدادات ومتلونة بألوان القابليات على ما يعيد المثل المضروب، وأنه كما الصراط مهيمن على جميع السبل، فكذلك أصحاب الصراط الذين مكنهم الله تعالى فيه وتولى أمرهم وولاهم أمر هداية عباده حيث قال: (وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا)(٣) وقال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)(٤) نازلة في علي "عليه السلام" وهو أول فاتح لهذا الباب من الأمة.

وذكر العلامة الطباطبائي قال: إن مزية أصحاب الصراط المستقيم على غيرهم، وكذا صراطهم على سبيل غيرهم إنما هو بالعلم لا بالعمل، فلهم من العلم بمقام ربهم ما ليس لغيرهم، إذ قد تبين أن العمل التام موجود في بعض السبل التي دون صراطهم فلا يبقى لمزيتهم إلا العلم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ) (٥)، وقوله تعالى:

(١) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ١/ ١٩١ .

(٢) سورة الاحقاف: الآية ١٩ .

(٣) سورة النساء: الآية ٦٩ .

(٤) سورة المائدة: من الآية ٥٥ .

(٥) سورة المجادلة: من الآية ١١ .

(إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُهُ)(^١).

وقال : روي عن علي "عليه السلام" قال: الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام ، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة، وعنه "عليه السلام" في معنى (صراط الذين أنعمت عليهم ...) أي قولوا: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، بالتوفيق لدينك وطاعتك، لا بالمال والصحة، فإنهم قد يكونون كفاراً أو فساقاً، قال: وهم الذين قال الله: (ومن يُطع الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)(^٢).

فإنه (عليه السلام) أقرب الناس شبيهاً بصاحب الرسالة في ورعه وعلمه والتزامه بحرفية الإسلام ، فيجب طاعته في جميع الأمور كطاعة أبيه وجده فهو الإمام المقطوع على أمره بالنص ، وإذا تعذر على الناس في كل الأوقات والأحوال فهم الإمامة والكفاءة للخلافة بعد تلك النصوص ومن تلك القابليات الممتازة والمناقب الفضلى ، فأى علامة أخرى تتوب عنها أو تكفيها فهمها .

وروي الخوارزمي عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كنت جالساً بين يدي رسول الله " صلى الله عليه وآله" ذات يوم وبين يديه علي وفاطمة والحسن والحسين "عليهم السلام" إذ هبط جبرئيل "عليه السلام" ومعه تقاحة فحيا بها النبي فتحيا بها النبي "صلى الله عليه وآله" وحيا بها علي بن أبي طالب فتحيا بها علي "عليه السلام" وقبلها وردها إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله" وحيا بها الحسن ثم الحسين فتحيا بها، ثم حيا بها علي "عليه السلام" ثانياً فلما هم أن يردها إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله" سقطت التقاحة من بين أنامله فانفلقت نصفين فسطع نور حتى بلغ السماء الدنيا فإذا عليها سطران مكتوبان: بسم الله الرحمن الرحيم تحية من الله إلى محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين سبطي رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأمان لمحبيهما من النار .(٣)

(١) سورة فاطر: من الآية ١٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٣٧/١ .

(٣) مقتل الحسين "ع": ٩٥/١ .

٢ . رعية الحسن (عليه السلام) مكلفون بإتباعه

إن رعية الحسن (عليه السلام) لا عذر لهم في العيب عليه وسوء الظن به ، لأنهم مكلفون بإتباعه إن صالح وإن حارب ، وإنهم كانوا غير متقين معه على سداد رأيه فكيف اتفاهم على نصرته .

ويبين الشيخ راضي آل ياسين ذلك الموقف من تلك الرعية قائلاً :

فإذا باع القائد في جبهة العراق ضميره لمعاوية بالمال ، وباع معه أكثر الرؤساء ضمائرهم بالعداء ، وإذا أصبح المعسكران في مسكن والمدائن يعجان بالشائعات التي راحت تمطرهما بوابل من الويل والثبور والمخاوف ، وإذا أصبح الحسن نفسه لا يتسنى له تنفيذ أوامره في جيشه بما فعلته الأراجيف من حوله ، بل لا يستطيع الظهور بشخصه أمام الكثرة من جنوده ، إلا ليُغتال بين مضاربه وعلى سواعد أصحابه ، فهل من سبيل إلا الصلح (١) .

وقال: إنهم في الواقع فهموا هذا الخلق على غير حقيقته ، وخُيِّل للكثير من اولئك الذين تتحكم فيهم الأنانية حتى تتجاوز بهم حدود العقيدة ، أنهم يبايعون الحسن بالخلافة ، إنما يتسورون بهذه البيعة الى اسناد قضاياهم ، وارضاء مطامعهم ، عن طريق الخلق الثري الواسع ، الذي ألفوه في الحسن بن علي منذ عرفوه بين ظهرانيمهم ، ثم كان هؤلاء بعد قليل من الزمن أسرع الناس الى الهزيمة ، ذلك لأنهم حين عركوا مواطن طمعهم من ليونة الحسن عليه السلام ، وجدوها بعد تسلّم الحكم واضطلاعه بالمسؤولية ، أعنف من زبر الحديد ، بينما كانت خزائن الشام لا تقفأ تلوح بالمغريات من الأموال والمواعيد، وكانت الاموال والمواعيد أمضى اسلحة الشام في مواقفها من الكوفة على طول الخط ، فشهدت الكوفة تقلب الهوى وتوزع الرأي وتداعي الخلق وتوقح الخصومة في الكثير من أهلها (٢) .

(١) صلح الحسن عليه السلام ، ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧ . ٦٨ .

الفصل الثاني

حُجِّيَّة التَّسْلِيم بِصَلْحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَام)

المبحث الأول

١ . استدلاله (عليه السلام) بقصة الخضر وموسى (عليهما السلام)

قصة الخضر مع موسى (عليهما السلام) فيها دروس وعبر يجب الانتفاع بها ، ومن العبر أن لا نحكم على الشيء بقول مطلق ونحن لا نعرف منه إلا وجهه الظاهر ، وأن يُنظر للشيء من جميع جهاته ، فإن لكل ظاهر باطن مع التأكيد على أن قضية الحسن (عليه السلام) وحجج صلحه ظاهرة بعدما عرفنا عدم استطاعة ذلك الجيش الاستقرار والثبات ، فمن الممكن التماس العذر لموسى في عدم صبره واعتراضه على خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ، ولا عذر لمن اعترض على الإمام الحسن أو يكونوا معذورين لأنهم يجهلون ما يعلمه الحسن (عليه السلام) من الضرر الذي سيحل بهم وسيدفعه عنهم إن هو لم يصلح .

يقول السيد ابن طاووس في طرائفه : من يقف على اعتراضات من اعترض على صلحه يقول : فيكون الذين عابوا على الحسن (عليه السلام) معذورين كما كان موسى معذوراً ، والخضر (عليه السلام) ما عذر لموسى (عليه السلام) فيما وقع منه ولذلك فارقه فلا عذر لمن عاب على الحسن (عليه السلام) أو أنه عذره ، ولكن ليس رعية الحسن كموسى (عليهما السلام) مع الخضر ، ولا الحسن مكلفاً باتباع الخضر في قبوله لعذر موسى ، وأن موسى ما كان رعية للخضر يجب عليه طاعته وإنما كان رفيقاً وصاحباً وموافقاً ، وكان موسى نبياً والخضر غير نبي ، فكان للخضر أن يعمل بعلمه بباطن الحال وكان لموسى (عليه السلام) أن ينكر ، لأن الذي وقع في الظاهر كالمنكر فكانا معذورين ، فلعلم موسى ما كان يعلم أن الخضر معصوماً أيضاً^(١).

وأما رعية الحسن فلا عذر لهم في العيب عليه وسوء الظن به ، لأنهم مكلفون باتباعه إن صالح وإن حارب ، ومتى عابوا عليه أو خالفوه كان حكمهم حكم من خالف إمام عدلٍ ، ولو

(١) الطرائف : ٢٨٢ / ١ .

لم يكن للحسن (عليه السلام) من العذر في صلح معاوية إلا أن أكثر أصحابه كانوا بهذه الصفة في صحبته غير متفقين معه على سداد رأيه فكيف كان يحصل من هؤلاء نصرة على أعدائه^(١) .
ومن خطبة للإمام الحسن قال فيها : " وَيَحْكُم ما تدرّون ما عملت ؟ والله للذي عملت لشيعتي خيراً مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنني إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ؟
قالوا : بلى .

قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلام ، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران (عليه السلام) ، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكماً وصواباً ؟ .

أما علمتم أنه ما منا أحدٌ إلا يقع في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه إلا القائم عجل الله فرجه الشريف الذي يُصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم (عليهما السلام)؟^(٢) .

٢ . استدلاله بموقف جده وأبيه (صلوات الله عليهم)

لتوضيح الموقف استدلل الإمام الحسن (عليه السلام) بموقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلح الحديبية الذي عارضه فيه معظم الصحابة ، فالرسول (صلى الله عليه وآله) في وقتها لم يجد أن الحرب كانت في صالح المسلمين حينها وقَبِل بشروط كفار قريش لما يراه من مصلحة للمسلمين آنذاك ، وكان (صلى الله عليه وآله) قد حارب المشركين في مواضع أخرى .

ففي صحيح البخاري كتاب الشروط باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير : أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى

(١) المصدر السابق .

(٢) الطبرسي، الاحتجاج : ٢٩٠/٢ .

الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منّا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه . فكره المؤمنون ذلك وامتعصوا منه وأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده (١).

وفي باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة : قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به " . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا لم نقض الكتاب بعد " . قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " فأجزه لي " . قال ما أنا بمجيزه لك قال : " بلى فافعل " . قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز : بل قد أجزناه لك ، قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ، قال : فقال عمر بن الخطاب : فأنت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألسنت نبي الله حقا ؟ قال : " بلى " ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : " بلى " ، قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا ؟ قال : " إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري " ، قلت : أوليس كنت تحدثنا أنّ سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : " بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام " . قال قلت : لا . قال : " فإنك آتية ومطوف به " ، قال : فأنت يا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق ؟ قلت : كان يحدثنا أنّ سنأتي البيت ونطوف به ، قال : بلى فأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتية ومطوف به (٢).

ومن ذلك يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله) وقّع الصلح رغم شروط الكفار القاسية وقيل به لما رآه أنه هو الصواب ، وقراره لم يعجب كثير من الصحابة واعترضوا عليه كما حصل من اعتراض على قرار الحسن (عليه السلام) لأنهم لا يعلمون المصلحة التي يعلمها النبي أو الإمام صلوات الله عليهما .

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط : ٩٦٧/٢ ، ح ٢٥٦٤.

(٢) المصدر السابق .

٣ . استدلاله (عليه السلام) بأحوال الأنبياء والأوصياء قبله :

قال (عليه السلام) في ذلك الشأن في خطبة له يخاطب فيها معاوية :

" وقد تركت بنو إسرائيل وأصحاب موسى هارون أخاه وخليفته ووزيره وعكفوا على العجل وأطاعوا فيه سامريهم، ويعلمون أنه خليفة موسى (عليه السلام) وقد سمعت هذه الأمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ذلك لأبي (عليه السلام) : " إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ، وقد رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين نصبه لهم بغدير خم وسمعوه ونادى له بالولاية ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، وقد خرج رسول (صلى الله عليه وآله) حذراً من قومه الى الغار لما أجمعوا أن يمكروا به وهو يدعوهم لما لم يجد عليهم أعواناً، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدتهم، وقد كفَّ أبي يده وناشدهم واستغاث أصحابه فلم يُعْث ولم يُنصِر، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجابهم، وقد جعل في سعة كما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) في سعة، وقد خذلتني الأمة وبايعتك يا ابن حرب ولو وجدتُ عليك أعواناً يخلصون ما بايعتك، وقد جعل الله عز وجل هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا، ولم نجد عليهم أعواناً، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً " (١).

وروي أن الناس قالوا : ما باله - أي علي عليه السلام - لم ينازع أبا بكر وعمر وعثمان ، كما نازع طلحة والزبير ، فخرج مرتدياً ، ثم نادى بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع أصحابه قام خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا معشر الناس ، بلغني أن قوماً قالوا : ما باله لم ينازع أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، كما نازع طلحة والزبير وعائشة ، وإن لي في سبعة من الأنبياء أسوة :

فأولهم : نوح "عليه السلام" حيث قال الله تعالى : (أني مغلوبٌ فأنتصِر) (٢) فإن قلت : ما كان مغلوباً ، كذبت القرآن ، وإن كان ذلك كذلك فعليّ أعذر .

(١) الشيخ الطوسي ، الأمالي ، ص ٥٦٢ .

(٢) القمر : ١٠ .

والثاني : إبراهيم خليل الرحمن ، حيث يقول : (وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)^(١) فَإِنْ قَلْتُمْ : إنه اعتزلهم من غير مكروه ، فقد كفرتم ، وإن قَلْتُمْ : رأى مكروهاً منهم فاعتزلهم ، فالوصي أعذر .

والثالث : ابن خالته لوط إذ قال لقومه : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ)^(٢) فَإِنْ قَلْتُمْ : إنه لم يكن بهم قوة فاعتزلهم فالوصي أعذر .

ويوسف : إذ قال : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)^(٣) ، فَإِنْ قَلْتُمْ : إنه دُعي إلى ما يسخط الله عز وجل فاختر السجن ، فالوصي أعذر .

وموسى بن عمران إذ يقول : (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)^(٤) فَإِنْ قَلْتُمْ : إنه فرّ منهم خوفاً ، فالوصي أعذر .

وهارون إذ قال : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي)^(٥) فَإِنْ قَلْتُمْ : إنهم استضعفوه ، وأشرفوا على قتله ، فالوصي أعذر .

و محمد "صلى الله عليه وآله" لما هرب إلى الغار ، فَإِنْ قَلْتُمْ : إنه هرب من غير خوف أخافوه ، فقد كذبتهم ، وإن قَلْتُمْ : إنهم أخافوه فلم يسعُه إلا الهرب ، فالوصي أعذر^(٦) .

ومن كل ذلك نعلم أن الإمام الحسن (عليه السلام) أعذر ، لأن معاوية أشد طغياناً وكفراً من أولئك الذين خافهم الأنبياء ومن وصي رسول الله (صلوات الله عليهم) ، و نلتمس العذر للإمام الحسن (عليه السلام) أن يخاف ذلك الباغي وجبروته وفساده في الأرض ، فإنه غلب كل الطغاة في قابلياته التعسفية التي لا تزال آخذة بالأسماع ، فما حال لو أصاب المُلْكُ بغير حال المهادنة ، فانظر إلى يزيد الطريد ماذا فعل بعتره النبي ، ولولا أطفاه تعالى لسرت نكايتهم في استئصال الذرية الهادية المعصومة ، إنه الحسن بن علي (عليهما السلام) أسوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ظاهرة في الثبات والإستقرار ، والنفس المطمئنة عند كل هول ، رغم تلك الهزاتز وتيار

(١) مريم : ٤٨ .

(٢) هود : ٨٠ .

(٣) يوسف : ٣٣ .

(٤) الشعراء : ٢١ .

(٥) الأعراف : ١٥٠ .

(٦) العلامة الحلي ، نهج الحق وكشف الصدق ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

الفوضى الرهيب ، وزلزلة جيشه ونفورهم من القتال ، وركونهم إلى الفرار ، واعتراض المعترضين ، إنه أحرص المسلمين على حفظ الإسلام ، فاصطفى الرأي ، وليس بمقدورنا قراءة الأفكار التي كانت تحت سيطرته ، فهو الإمام المعصوم المفترض الطاعة .

٤ . الحسن (عليه السلام) الأسوة الحسنة

إن الخُص من شيعة الحسن (عليه السلام) ممن اعترض على صلحه - بعيداً عن أساليب تجريح المنافقين كعبد الله بن الزبير والخوارج وغيرهم وسوء نيتهم في اعتراضاتهم - لم يكن مجموعة أخرى غير هؤلاء المخلصين تؤتمن في حفظ مبادئ الإسلام ، فكان في علم الإمام الحسن أن التفریط بهذه النخبة في ذلك القتال المستميت الغير متكافئ يمثل انقطاع الصلة بين الرسالة التي دأب رسول الله وأوصيائه صلوات الله عليهم في الحفاظ عليها ، وبين الأجيال الآتية إلى يوم الدين .

ففي ذلك الظرف العاصف بالإمام الحسن عليه السلام في المدائن والفتن الدائرة حوله هناك ، والذي لم يبق حينها في متناوله أي بصيص أمل أو سبيل في الاستمرار في الحرب أو الامتناع عن الصلح كان (عليه السلام) على دراية تامة بالتصفية الأموية للحسن وأخيه الحسين (عليهما السلام) وجميع أهل بيته والصفوة المختارة من عباد الله المخلصين ، فمعاوية ضاق بذكر الناس للنبي (صلى الله عليه وآله) في كل يوم خمس مرات كما تقتضيه السنة الإسلامية في الأذان حتى قال للمغيرة بن شعبه : فأبي عملٍ يبقى بعد هذا لا أم لك ، ألا دفناً دفناً^(١) .

فما عذر من لم يُطع الإمام الحسن (عليه السلام) إن لم يكن في حربه ففي صلحه ؟ ، وما عذر من جأهروه بالسخط والانتكار ؟

فالكل متفق أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدوة المسلمين صالح بني قريضة وبني النضير وهم كفار ، فلا عيب في صلح الإمام الحسن (عليه السلام) .

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي : ٣٤٣/٢ ؛ وشرح النهج لابن أبي الحديد : ٣٥٧/٢ .

وأنه (صلى الله عليه وآله) صالح اليهود والنصارى وأخذ الجزية منهم وأقرهم على الكفر والضلال ، فلولده الحسن أسوة في صلح معاوية كما تضمن كتاب الله عز وجل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^(١) .

المبحث الثاني

استرشاده (عليه السلام) بالخطر على الدين وأهله

إن حفظ الصالحين من أبناء الأمة وطلائعها المجاهدة مقصد هام من مقاصد الدين ، فنراه (عليه السلام) هادناً حفظاً للإمامة الهادية ولخلص شبيعة آل محمد فمن دونهم لا مجال لحفظ الرسالة والمذهب وهذه حجة في عذره .

وتظهر نظرة المعصوم في تلك الضرورة المرحلية المفروضة من قوله (عليه السلام) لسليمان بن صرد وهو نفس قول أخيه الحسين (عليه السلام) : " فإن يهلك - أي معاوية - ونحن وانتم أحياء ، سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا " ^(٢) .

ويكفينا من تصريحات الإمام الحسن (عليه السلام) في ذلك الشأن مثل قوله: " ما تدرون ما فعلت ، والله للذي فعلت خير لشييعتي مما طلعت عليه الشمس " ^٣ ، وما قاله لبشير الهمداني وهو أحد رؤساء شييعته في الكوفة : " ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل " ^٤ ، وما قاله في خطابه بعد الصلح : " أيها الناس إن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخرنا ، وقد سالمت معاوية ، وإن أدري لعله فتنة ومتاع إلى حين " ^(٥) .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) الإمامة والسياسة ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٣) الطبرسي ، اعلام الورى بأعلام الهدى : ٢٣٠/٢ .

(٤) آل ياسين ، صلح الحسن ع ، ص ٢٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

وليس في شئ من هذه التصريحات يستدعي الالتواء في فهم مقصد الإمام الحسن (عليه السلام) من تلك المهادنة وهي وصيانة المبادئ الدينية وحماية الشيعة من القتل والتصفية الأموية .

والإمام هنا لا يريد الحياة إلا بمقدار ما تكون وسيلة للنفع العام ، فما قيمة ما يقول الناس الى جنب هذه المعنويات الممعة في اتجاهها إلى الله ، والإمام بصفته الروحية التي يقود بها الغير إلى الحق ، لا يهجم أبداً بغير هذا النوع من التفكير ، ولا ينصرف بخلجاته ومشاعره وعواطفه إلى غير الله ، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) والمبدأ الصحيح (١) .

جاء في طرائف السيد ابن طاووس: إن معاوية أخذ هذا الأمر صلحاً وبأيمانٍ مغلظة أن لا يؤذي أحداً من أهل البيت وشيعتهم ، وفعل ما فعل من قتل شيعة علي (عليه السلام) ولعنه على المنابر، فلو أخذه قهراً كيف كان يكون الحال! ، ولو أخذه قهراً وقتل كافة أهل البيت وشيعتهم بطل حكم الإسلام ، ولمّا كان صلحاً بقي منهم من يقوم به الحجة على العباد والبلاد (٢) .

وهذا ما كان يعلمه ويدركه الإمام المعصوم بسابق علم لديه من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ومن الأحوال الظاهرة والباطنة التي لا يعلمها إلا هو (عليه السلام) في تلك الظروف والمرحلة التاريخية الحرجة والمفصلية في تاريخ الإسلام والمسلمين .

وقُتِل الحسين (عليه السلام) كان آية وحجة في عذر الحسن (عليه السلام) في صلح معاوية وبياناً لذلك .

ومما ظهر فيما بعد أي بعد أن تولى معاوية السلطة هو ما كتبه إلى قضاة وعماله في الأمصار: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة ، وانظروا شيعة عثمان الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه وأكرمهم وشرفهم، واكتبوا إلي بما يروي كل واحد منهم فيه بإسمه واسم أبيه، وبعث إليهم بالصلوات والكُسا، وأكثر القطائع للعرب والموالي ،

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) الطرائف : ٢٨٧/١ .

وتنافسوا في المنازل والضياع، واتسعت عليهم الدنيا، ثم كتب إلى عماله: إن الحديث قد كثر في عثمان فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فقرأ كل قاض وأمير كتابه على الناس، وأخذ الناس في الروايات فيهم وفي مناقبهم، وأنفذها إلى عماله، وأمرهم بقرائتها على المنابر، وفي كل كورة، وفي كل مسجد، وأمرهم أن ينفذوا إلى معلمي الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتى يرووها ويتعلموها كما يتعلمون القرآن حتى علموها بناتهم ونسائهم وخدمهم، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديون، ثم كتب كتاباً آخر: من اتهمتموه ولم تقم عليه بيينة فاقتلوه، فقتلهم على التهم والظن والشبهة تحت كل كوكب، حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فنضرب عنقه، وجعلوا الأمر لا يزداد إلا شدة، وكثر عددهم، وأظهروا أحاديثهم الكاذبة فنشأ الناس على ذلك، لا يتعلمون إلا منهم، وكان أعظم الناس في ذلك القراء المرأؤون المتصنعون الذين يظهرون الحزن والخشوع والنسك ويكذبون، ليحظوا عند ولاتهم، ويصيبوا بذلك الأموال والقطائع والمنازل، حتى صارت أحاديثهم في أيدي من يحسب أنها حق فرووها وعلموها، وصارت في أيدي المتدينين الذين لا يستحلون الكذب، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا أنها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها، فلما مات الحسن بن علي عليهما السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض^(١).

وعن شعيب عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم وأنجب النجباء محمد بن أبي بكر^(٢).

وقال العلامة الحلي: روي في كتاب "الهاوية": أن معاوية قتل أربعين ألفاً من المهاجرين، والأنصار، وأولادهم^(٣).

فسياسة معاوية ضد أهل البيت وشيعتهم تتفجر بكل ما يخالف الكتاب والسنة من كل منكر في الإسلام، قتلاً للأبرار، وهتكاً للأعراض، وسلباً للأموال، وسجناً للأحرار، وتشريداً للمصلحين، وتأييداً للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولته، وتلك المحن لو وزعت على دهر لضاق بها، ونأى بحملها، ولو وزعت على عالم لكان جديراً أن يُحوّل جحيماً لا يُطاق، فكانت وجهة

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦-١٥/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣١٢.

الإمام الحسن لحفظ الرسالة في موضعها وفي زمانها .

ومما روى الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسندٍ عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله "صلى الله عليه وآله" يقول " سيليكم امراء بعدي يُعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله " وقال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه (أي البخاري ومسلم) (١).

وبسندٍ آخر روى الحاكم أيضاً عن عبادة بن الصامت مخاطباً عثمان قال: إني سمعت رسول الله "صلى الله عليه وآله" محمداً أبا القاسم يقول: " فلا تعتبوا أنفسكم فوالذي نفسي بيده إن معاوية من اولئك " فما راجعه عثمان حرفاً، وقال الحاكم: وقد روي هذا الحديث بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين (٢).

وروى المدائني خطبة لمعاوية بيّن فيها خداعه وتضليله لأتباعه ومريديه قائلاً :

يا أهل الكوفة ، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ؟ ، لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون . ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلا لثلاث : اخراج العطاء عند محله ، واقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإن لم تغزوهم غزوكم . ثم نال من علي ومن الحسن (عليهما السلام) (٣) .

وكان موقف معاوية من شيعة العراق موقف المنتقم الحاقد الذي لا تأخذه بهم رافة ولا ذمة ولا عهد ، ويدل ذلك على وفاء هؤلاء الشيعة وزعمائهم الذين خسروا إنصاف المؤرخين بعد ذلك .

وروى سليم بن قيس :

ولما كان قبل موت معاوية بسنة ، حج الحسين بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر فجمع الحسين بني هاشم ، ثم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن حج منهم من الأنصار ، ممن يعرفه

(١) المستدرک على الصحيحين : ٣/٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) صلح الحسن ع ، ص ٢٨٥ .

الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم أرسل رسلاً : لا تدعوا أحداً حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلا اجمعوهم لي ، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل ، وهم في سرادقه ، عامتهم من التابعين ، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

" أما بعد ، فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشييعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم ، وإنني أريد أن أسألكم عن شئ فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني ، اسمعوا مقالتي ، واكتبوا قولي ، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس ، ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا ، فإنني أتخوف أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويغلب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون " (١) .

وقال سليم : وما ترك شيئاً مما أنزله الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره ، ولا شيئاً مما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه ، وكل ذلك يقول أصحابه : اللهم نعم وقد سمعنا وشهدنا ، ويقول التابعي : اللهم قد حدثني به من أصدق وأتمنه من الصحابة ، فقال : " أنشدكم الله الا حدثتم من تتقون به وبدينه " (٢) .

وكان الحسن (عليه السلام) أعرف الناس بمعاوية وبما سيرتكب من موبقات وجرائم بشيعة علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وأعرف بحظه من الصدق والوفاء ، وهو إذ يأخذ عليه الصيغ المغلظة في العهود ، لا يقصد من ذلك إلى التأكيد من صدقه ووفائه، ولكن ليكشف للمخدوعين به قابلياته الدينية المزيفة ، فلعنوه هؤلاء بعدها ووصفوه بالغدر وأنه أخبث الناس ، وقال فيه أحدهم : " أربع خصال كنن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة : انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها (يعني الخلافة) بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعأؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الولد للفرش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً ، ويل له من حجر وأصحاب حجر (مرتين) (٣) " .

كان الإمام الحسن (عليه السلام) يسترشد الرسالة في إقدامه وفي إحجامه ، ولم يهن عزمه من إنكار خاصته ، ولا ضاق به ذرعه ، فاستشهاد راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله حجر بن عدي الكندي في مرج عذراء (٤) سنة ٥١ هـ - وهو يرد على المغيرة وزياد لعنهما الله حينما

(١) كتاب سليم بن قيس ، ص ٣٢١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تاريخ الطبري : ١٥٧ / ٦ .

(٤) قرية على اثني عشر ميلاً من دمشق .

كانا يشتمان علياً عليه السلام - أولى للدين من استشهاده في المدائن أو ساباط وسط تلك الأحداث الملتهبة بالفتن والأهواء المتقلبة لا تعلم فيها العدو من صاحب الميثاق والولاء ، ولذهبت تلك الأنفس الطاهرة العابدة الزاهدة ثقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) والموالية للعترة الطاهرة من آل محمد صلوات الله عليهم كأنها بعيدة عن قضية الحسن وخلافته الشرعية ، وسط احتدام السيوف واختلافها في الكوفة بأجلافها من تلك الفئات التي كانت قلّ ما تهتدي على رأي بما ورثته من مخلفات الحروب الطاحنة على مقربة منها في البصرة والنهروان وصفين ، وبعد زهق أرواح ودماء الصفوة الطيبة سوف لا يكون الحسن والحسين (عليهما السلام) بمنجاة من هؤلاء وهؤلاء وسط العداء الأموي المتأصل للإسلام ، وبغضهم للنبي وعترة صلوات الله عليهم ، والأهداف الشخصية للكوفيين بما في الكوفة من شاميين وأمويين وخوارج وغيرها من الفئات المشحونة بالعصبيات .

المبحث الثالث

نظرتة (عليه السلام) لعناصر الكوفة وتشنت رأيهم

١ - تغلغل حالة التمرد في واقع الأمة

نعلم من حديثه (عليه السلام) بأنه كان يُدرك ما لا يُدركه ويفهمه أصحابه ومن اعترض على صلحه ، وهو حال الأمة ومرضاها وداء المجتمع وخاصة بعد أن ألقى الحجة عليهم بأنه عزم على القتال وأنهم جزعوا ونادوه بالحياة وآثروا بها على القتال والتضحية ، حدد بعدها هل الاستمرار بالجهاد والثورة مع عدم توفر الظروف المؤهلة للنصر وأهمها الاخلاص والثبات والصبر ، أم السكون والهدوء في ضوء معرفة أهداف العدو ونواياه ضد أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم) ، وهذه حجة ثانية في عذره .

وأورد ابن الأثير اشتراطه (عليه السلام) على المبايعين بعد زيادته لعددهم قال: " إنكم مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربت " ، فارتابوا لذلك وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلا القتال (١) .

وروى ابن أبي الحديد قال : كتب الإمام الحسن (عليه السلام) الى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي كما نقل صاحب شرح النهج : " إنما حملني على الكتاب إليك الإعدار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التماذي في الباطل وادخل فيما دخل الناس في بيعتي فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك وعند الله وعند كل أبواب حفيظ ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خيراً في أن تلقي الله من دماءهم بأكثر مما أنت لاقية به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو

(١) الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٠٢ .

أحق به منك ليطفئ الله الثائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيِّك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين " (١) .

ويروي بأن دعوة الإمام الحسن (عليه السلام) إلى القتال قد قوبلت بالسكوت وعدم الاستجابة ، إلا أن تحريض جماعة منهم عدي بن حاتم هي التي أدت إلى الاستجابة والموافقة على الحرب (٢) .

ولما وجد الإمام الحسن (عليه السلام) فترة من أنصاره وكتب معاوية في طلب الصلح اليه وإلى أصحابه خطب خطبة منها قوله (عليه السلام) : " ما صدنا عن أهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم دينكم أمام دنياكم فأصبحتم اليوم دنياكم أمام دينكم ألا وإنما لكم كما كنا ولستم كما كنتم لنا أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون منا ثاره والباقي خاذل والباقي تائر ومعاوية يدعوننا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت وردناه وحاكمناه إلى الله بظلمات السيوف وإن أردتم الحياة قبلناها وأخذنا لكم بالرضا" . فناداه الناس من كل جانب البقية يا بن رسول الله " (٣) .

ففرى أن حالة الفوضى والتمرد وعدم الطاعة راسخة ومتغلغلة في واقع الأمة وأن ذلك كان سبباً في قرار المصالحة ونعلم من صلحه (عليه السلام) أن النصر والتغيير لم يحصل بمعجزة والصراع لم تحسمه الملائكة وإنما سنن الله في الكون هي التي تحرك المسيرة ، ومع عدم توفر شرائط النصر ومقومات الحرب لا مجال للنصر ولا امكانية لاستمرار الحرب وهذا الدرس البليغ في الواقعية السياسية بقدر ما أن شيعته لن تنسأه أبداً فيجب عليها أن تعتبر منه وتستلهم منه الدروس ، ويجب أن يسجل موقفه للأجيال وأن تعي الأجيال وتلتفت إلى أن الأمة استسلمت لمعاوية وتركت عترة نبيها (صلى الله عليه وآله) ، وأن الحسن بن علي (عليهما السلام) كان حريصاً على أن لا يراق دم الخلص والموالين من شيعته حتى وإن لاموه على صلحه وسخطوا

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٢٧ / ١٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٨ / ١٦ .

(٣) ابن طاووس ، الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ، ص ١٧٥ . وفي طرائف السيد علي بن طاووس : ٢٨٥ / ١ . ٢٨٦ مع اختلاف بسيط في لفظ الحديث : فناده الناس : التقية التقية .

عليه ولم يعذروه في حرب كان يعلم الإمام الحسن (عليه السلام) من هو خصمه فيها ، ويُدرك حال رعيته فيها وتمردهم .

فما من مانع للمسلمين آنذاك من إبادة العترة الطاهرة والخلص من شيعتهم فمما روي في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : " أمرني ربي أن أسألكم المودة في القربى ، فانظروا ألا تلقوني غداً على الحوض ، وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم ، ألا وإنه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة ، الأولى سوداء مظلمة قد فرغت لها الملائكة ، فتقف عليّ فأقول : من أنتم ؟ فينسون ذكري ويقولون نحن أهل التوحيد من العرب ، فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي ؟ فيقولون : أما الكتاب فضيعناه ، وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم عن آخرهم عن جديد الأرض ، فأولي عنهم وجهي ، فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم ^(١) .

٢ - من هم عناصر الكوفة

صنّف الشيخ راضي آل ياسين عناصر الكوفة إبان بيعة الحسن (عليه السلام) وهم الحزب الأموي كما يروي المسعودي أنهم كانوا يكتبون معاوية سراً ، ويتبرعون له بالمواعيد ويتخذون عنده الأيادي ، والخوارج وهم أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب منذ يوم البيعة وهم اعداء علي عليه السلام كما هم اعداء معاوية شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب أهل الشام فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط وأرادها على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم ، وكان في دعوتهم أساليبهم المؤثرة المخفية التي كانت تززع إيمان كثير من الناس بالشكوك ، في وقت كان من شيعة الحسن (عليه السلام) من يشاطرهم اللاحاح في الحرب ، وطائفة من سكان الكوفة ومن رعاها المهزومين الذين لا نية لهم في خير ولا قدرة لهم على شر ، تأثروا بدعوة الخوارج دون أن يكونوا منهم ذكرهم السيد المرتضى في أماليه بالشكاك ^(٢) .

(١) ابن طاووس ، علي ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ١١ .

(٢) صلح الحسن ع ، ص ٦٤ - ٧٧ .

ويضيف : وكان إلى جنب هذه العناصر العدو في الكوفة " شيعة الحسن " برهنوا على اخلاصهم لأهل البيت وهم جمهرة من بقايا المهاجرين والأنصار ، لحقوا علياً الى الكوفة كقيس بن سعد ، وحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وحبيب بن مظاهر الأسدي ، وعدي بن حاتم الطائي، والمسيب بن نجية، وزباد بن صعصعة ، وغيرهم من هذا الطراز (١) .

أما الطوارئ المستعجلة المعاكسة ، والأصابع المأجورة الهدامة ، فقد كانت تعمل دائماً لتغلب هذه القابليات ، ولتغير من هذا التقدير (٢) .

من هذا التصنيف للمجتمع الكوفي ندرك أن المصادر التاريخية صورت لنا انطباع سلبي عن أهل العراق ، والصقت تهمة التخاذل على أهل العراق وهم شيعة الإمام الحسن (عليه السلام) الخُص الذين لم يَسَلَمُوا من دسائس الحزب الأموي والخوارج وبقية الفئات التي كانت ضمن المجتمع الكوفي آنذاك .

إن قضية صلح الإمام الحسن مع معاوية تعد - كما تصورها لنا المصادر التاريخية الاولى - من أخطر القضايا وأشدّها تشويشاً في تاريخ أهل البيت من جهة، وفي تاريخ العراق الاسلامي المبكر من جهة اخرى ، وذلك لأن القراءة الأولية للمصادر التاريخية الاسلامية حول الموضوع تقرض على القارئ أن يخرج بانطباعين سلبيين هما :

الأول : الانطباع السلبي الشديد عن العراقيين الأوائل الذين عاصروا الأئمة علياً والحسن والحسين عليهم السلام في الكوفة خاصة ، وهو الانطباع السائد لدى كل من درس الموضوع أو كتب فيه، وهو : كونهم متفرقين متخاذلين - طالما تمنى علياً فراقهم - غير قادرين على النهوض بدولة مستقلة بهم نظير ما صنعه الشاميون مع معاوية، بل كان بعض العراقيين - كما في بعض الروايات - يفكر بتسليم الحسن حياً الى معاوية، ولذلك اضطر الحسن الى تسليم الأمر لمعاوية، وهذا الانطباع يستوي فيه القارئ المسلم بغض النظر عن مذهبه .

الثاني : الانطباع السلبي عن شخصية الإمام الحسن عليه السلام لدى القارئ الذي لا تربطه معه رابطة الاعتقاد بإمامته وعصمته ولا رابطة الاعتقاد بوجود محبته واحترامه لأنه من أهل البيت،

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٨ - ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه .

كالمستشرقين الذين كادوا يجمعون على كون الإمام الحسن عليه السلام شخصية غير جديرة بأن تكون ابناً لعلي، وأنه باع الخلافة بدرهم من أجل شهواته (١) .

أما القارئ المؤمن بعصمة الامام الحسن عليه السلام فلم يؤثر عليه ذلك الركاب الهائل من الروايات الطاعنة في شخصيته لإيمانه المسبق أن الإمام الحسن (عليه السلام) منزه عن ذلك وان تلك الروايات لا بد أن تكون موضوعة من قبل اعدائه لتشويه صورته(٢).

والنبي صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين أيضاً ، منيا في بعض وقائعهما بمثل هذا الجيش وكل منهما قد جنى بعد ذلك اضرار وجود هذه العناصر ففي واقعة حنين رأى بعض المسلمين كثرة جيشهم فأعجبتهم كثرتهم ، وقالوا سوف لا نغلب من قلة ، ولكن جيش المسلمين كان خليطاً وبينهم الكثيرون ممن جاء للغنيمة ، وفي حروب علي (عليه السلام) كان جند علي في صفين خليط من أمم وقبائل شتى ، وهو جند مشاكس معاكس لا يرضخ لأمر ولا يعمل بنصيحة ، وفيما يحكيه البيهقي في " المحاسن والمساوي " قول معاوية : وكان - يعني علياً عليه السلام - في أخبث جيش وأشدهم خلافاً، وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً^٣ . وما على الحسن (عليه السلام) إلا أن يسير بسنة جده وسيرة أبيه ، وكفى بهما اسوة حسنة وقدوة صالحة .

ووفق الشواهد التاريخية الكثيرة والحروب في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وبعده في حروب أمير المؤمنين نستطيع القول إن الإسلام بحقيقته لم يترسخ عقيدة في نفوس معظم المسلمين ، وكان الأمر جلياً ضمن مجتمع المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله واختلافهم وترك تجهيزه ودفنه ، فمنهم من قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وآخرون قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، وغيرها من المخالفات العظيمة ، وإذا كان هذا هو موقف الكوفيين من محنة الإمام الحسن فما موقف أهل المدينة ومكة والشام وغيرها من الأمصار وماذا فعلوا في هذه المحنة عندما تكالبت عليه الأعداء من كافة بقاع الأرض الإسلامية ، فخيانة عبيد الله بن عباس شكلت صدمة للحسن (عليه السلام) وكانت من أهم الأسباب لمصالحة معاوية .

تلك الخيانة تركت أثراً بالغاً في معنويات الجيش ، فكان موقفه مشيناً وهو الذي شجع بقية القادة على التخاذل وخيانة الإمام الحسن عليه السلام .

(١) البدرى ، سامي ، صلح الإمام الحسن ع قراءة جديدة ، مقال، مجلة تراث النجف الحضاري والديني، عدد ٢، ٢٠١٣.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المحاسن والمساوي ، ص ٣٧٦ .

ومنها الخروقات التي أحدثها معاوية بالتنسيق مع رؤوس المنافقين في الكوفة تلك الفئات التي صنفتها الشيخ آل ياسين وذكرناها آنفاً ، فعمل المنافقون جهدهم في ذلك وهياً أعوان معاوية في الكوفة وغيرها أرضية الصلح .

فهذا حال المجتمع الكوفي آنذاك ، أضف إلى ذلك وفود كبار المسلمين من مختلف الآفاق على الكوفة بعد أن اتخذها أمير المؤمنين (عليه السلام) مقراً له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ للهجرة ، وسكنتها القبائل العربية من الحجاز واليمن ، وعمرت فيها الأسواق ، وزهت فيها الدراسات العلمية .

وغلب على الكوفة تحت ظل الحكم الهاشمي التشيع لعلي وأولاده عليهم السلام ، ثم لم يزل طابعها الثابت اللون ، ووجد معه بحكم اختلاف العناصر التي انتقلت للمصر الجديد أهواء مناوئة أخرى ، شكلت بعد مدة من الزمن مادة الفتن في أكثر ما عصف بالكوفة من النزاع التاريخية ، وسائر تلك العناصر التي كانت تقطن الكوفة كانت قلما تلتقي على رأي خاصة بعدبيعة الحسن عليه السلام وخلافته للدسائس والفتن الأموية التي وجدت الأرضية الملائمة بسبب ضعف نفوس تلك العناصر المتعددة في الكوفة .

وعندما تجهز الحسن (عليه السلام) للشخص إلى المدينة والخروج من الكوفة شيعه الناس بالبكاء ، ولم تكن إقامته فيها بعد الصلح إلا أياماً قلائل ، فلما صار بدير هند من الحيرة نظر إلى الكوفة وقال :

لا عن قلى فارقت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري

وأى نفس ملائكية هذه التي لقيت من نشور هذه الحاضرة ومن بوائقها ما لقيت ، ثم هي تودعها بهذا البيت من الشعر ، فلا تذكر من تاريخها الطويل العريض ، إلا وفاء الأوفياء " المانعين الحوزة والذمار " وهم الذين منعوا عنه من أراده في المدائن ، والذين ثبتوا على طاعته يوم العسرة في مسكن ، فكانوا اخوان الصدق وخيرة الأنصار على قلتهم (١) .

ففي النظر والدقة في الاستنتاج يكفينا للقناعة بألوان التصرفات الكيفية الواسعة النطاق التي نكب بها كل من حديث الإسلام وتاريخ أحداثه معاً ، وبمفارقات بعيدة تأخذ بها أهل العراق بالشبهات وتبرئ باقي المسلمين في شتى بقاع الأرض ، حجازهم وشامهم ويمنهم اللذين وفدوا على الكوفة واستقروا بها منذ أمٍ غير بعيد ، وما أظن أن عامة الصحابة - من خطب بهم الإمام الحسين

(١) صلح الحسن ع ، ص ٢٨٩ .

قبل الطف ويكثرهم بقية التابعين - هم من أهل الكوفة ، ومن بقي منهم معه - بعد أن عاهدوه على السمع والطاعة - في سوح الوغى بكرلاء .

وقال معاوية في وصف خصومه العراقيين المخلصين لعلي عليه السلام : " فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقلي " ، ويوم قال فيهم : " ما لهم غضبهم الله بشر ، ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد " (١) .

وفي موقف اهل العراق في الجمل :

كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة : " بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، سلامٌ عليكم ، فإني أحمدُ اللهَ إليكم الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فإن اللهَ حكمٌ عدلٌ (لا يُعَيِّرُ ما يَقُومُ حَتَّى يُعَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ ، وإذا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فلا مَرَدَّ لَهُ وما لَهُمْ مِنْ وَالٍ) (٢) وإني أخبركم عنا وعمَّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير بعد نكثهما صفقة إيمانهما ، فنهضتُ من المدينة حتى إنتهى إلي خبرهم وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتى قَدِمْتُ ذاقار ، فبعثتُ إليكم إبنِي الحسن وعماراً وقيساً فاستنفروكم لحقِّ الله وحقِّ رسوله وحقِّنا ، فأجابني إخوانكم سراعاً حتى قَدِموا عليّ ، فسِرْتُ بهم وبالمسارعين منهم إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة ، فأعذرتُ بالدعاء (٣) وأقمتُ الحجة وأقلتُ العثرة والزلة من أهل الردّة من قريش وغيرهم واستتبتهم عن نكثهم ببيعتي وعهد الله لي عليهم ، فأبوا إلا قتالي وقاتل من معي والتمادي في الغي فناهضتهم بالجهاد ، فقتلَ مَنْ قُتِلَ منهم وولى مَنْ ولى إلى مصرهم فسألوني ما دعوتُهم إليه من كف القتال فقبلت منهم ، وغمدتُ السيوف عنهم ، وأخذتُ بالعمفو فيهم ، وأجريتُ الحق والسنة بينهم ، واستعملتُ عبد الله بن عباس على البصرة ، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى ، وقد بعثتُ إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنا وعنهم وردّهم عنا وعنهم وردّهم الحق علينا ، وردّهم الله وهم كارهون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادي الأولى من سنة ست وثلاثين من الهجرة (٤) .

(١) صلح الحسن ع ، ص ٢٥٣ .

(٢) من الآية ١١ من سورة الرعد .

(٣) أي أبديت عذري بدعوتهم إلى الصلح أولاً .

(٤) الجمل والنصرة لسيد العترة ، ص ٣٩٨-٣٩٩ .

وكان قد خطبهم بذي قار فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال: " يا أهل الكوفة ، إنكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنة ، وأفضلهم في الإسلام سهماً ، وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً ، جريتكم بيوتات العرب وفرسانهم ومواليهم ، أنتم أشد العرب ودأً للنبي صلى الله عليه وآله ، وإنما اخترتكم ثقةً بكم لما بذلتكم لي أنفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي ، وخلافهما طاعتي ، وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي ، وإخراجهما لها من بيتها ، حتى أقدماها البصرة ، وقد بلغني أنّ أهل البصرة فرقتان : فرقة الخير والفضل والدين ، قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير ."

ثم سكت عليه السلام ، فأجابه أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوك ، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير والأجر ورجوناه فردّ عليهم خير^(١) .

أما الأكثرية الخائفة فقد كانت تعد العدة لذلك العداء منذ زمن بموالاتها لمعاوية وإن اختلفت أسباب ودوافع تلك الموالاتة للأمويين منها التهيب والترغيب الأموي ، وقد لاقت تلك السياسة الأموية أرضاً هشة وسط جموع الأمويين والشاميين والخوارج والكوفيين الضعفاء فمنهم من يعادي أهل البيت أصلاً ومنهم من سرت فيه تلك السياسة وباع دينه بدنياه ، فشرء الذمم وخوف فئات من التقتيل الأموي وضلال الكثير بواقع حال معاوية وأنه جعل من نفسه سيداً يستأثر بكل محمدة فضلاً عن أمراءه الأمويين ، وقد وضعوا في سبيل تركيز هذه السياسة المتعمدة ، التاريخ الزائف الذي ظل يفيض بسلسلة من الأحاديث الموضوعية ، والقصاص المصطنع ، والأكاذيب المنوعة ، بدأت بوادرها ما بعد السقيفة ، كان هدفهم من ذلك كله الاستئثار بالسيادة والملك والثراء والذات الدنيوية ، وكان ذلك يضيق به المعنيون بدينهم من آل محمد صلى الله عليه وآله وفي عهد الإمام الحسن خاصة حين بلغت تلك السياسة الزائفة ذروتها ، وكذلك كان يضيق به المخلصين الثابتين على الإخلاص لله في اسلاميتهم ، وكانت تلك التعبئة الأموية التي نفذها معاوية قد غلبت ولاء المخلصين من شيعة أهل البيت عليهم السلام في الكوفة ، فحسب الحسن (عليه السلام) لكل خطوة حسابها المناسب لها ، إنه سيد شباب أهل الجنة وباب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله

(١) الإرشاد ، ص ١٣٣ . الجمل ، ص ٢٧٦ .

بعد أبيه صلوات الله عليهما ، ولا يعلم أحداً غيره وغير أخيه الحسين عليهما السلام بأن شيعته في الكوفة سوف يُقتَلون وتُقطع أيديهم وأرجلهم وتُسمل أعينهم ويرفعون على جذوع النخل مع عهود ومواثيق الصلح ، فما حالهم وحال أهل بيت نبيهم لو قاتلوا ذلك الطاغية مع عدم وجود الناصر واستمكن منهم .

الفصل الثالث

الإمام الحسن (عليه السلام) صلابة موقفه ووحدة هدفه

المبحث الأول

١. حرص الإمام الحسن (عليه السلام) على دماء المسلمين :

من يتصفح بعض المصادر التي تناولت سيرة الإمام الحسن عليه السلام لا بد له أن يتريث قليلاً ويتوقف عندما يسمع أو يقرأ شبهة ما أو شرط شرطه الإمام الحسن (عليه السلام) بعيد عن أهدافه السامية في حقن دماء المسلمين ، وأن نحتكم للعقل قليلاً والمراجعة والتدقيق لكبح جماح أصحاب الأهداف الفاسدة والأغراض الطامحة للدنيا .

كان (عليه السلام) أحرص بشر على دماء المسلمين وله (عليه السلام) موقفه الممتحن في هذه الظروف ، فتنبأ للحوادث قبل وقوعها وكثيراً ما صارحهم بما سيحدث ويلمح لهم ولتلك الظروف التي ستطرأ على الإسلام والمسلمين ، ولا أحد يفهمه ويستوعب قابلياته التي اكتسبها من كتاب الله تعالى وسنة جده (صلى الله عليه وآله) فهو عدل الكتاب وسبط النبي ، وفوق ذلك كله قال في خطبته الأولى يوم البيعة من ضمن ما قال : " إني أرى ما لا ترون " (١) ، وكأنه يستشعر خطاب ووصية أبيه (عليه السلام) من ضمن خطبة عظيمة قال له فيها : " وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال " (٢) .

وحتى القابليات من رجالات الشيعة المخلصين - تلك المجموعة المباركة الذين كانوا بمنجاة من الدسائس المعاكسة وكانوا من الحيوية والقابلية ما لا يستطيع أحد احباطها وتغيير وجهتها - غلبتها الأصابع المأجورة وتلك الدسائس المعاكسة المتوالية ، فهي لم تقهم غوائل العدو جيداً وما سيلحق بها وبالإسلام كله فيما لو انصاع الإمام الحسن عليه السلام إلى آراء ومطالب تلك الصفوة من الأصحاب ، فالحسن (عليه السلام) علمه من علم جده (صلى الله عليه وآله) فهو الإمام فيما لو حارب أو صالح ، ويعلم بعواقب الأمور بما لا يعلمه غيره .

(١) بحار الأنوار : ٩٩/١٠ .

(٢) ابن طاووس ، كشف المحجة لثمره المهجة : ١٧٤ .

٢. وحدة الخطاب والهدف :

من المؤسف أن الفئة المخلصة من أنصار أهل البيت وشيعة الحسن (عليه السلام) قد جهلوا أهداف الحسن (عليه السلام) في الصلح ، أو جهلوا حقيقة الوضع بدوافعه التي اقتادته (عليه السلام) إلى الصلح ، ربما حرصهم الشديد واندفاعهم في القتال وجهاد الفئة الباغية قد اقتادتهم إلى التذمر والأسف وملامة الحسن (عليه السلام) مع أنهم يعلمون أنه ذلك الإمام المعصوم الحكيم بالأمور العالم بظرفه الذي لم يبق فيه احتمال لغير الصلح ، وأن مشروع شهادة هؤلاء الأوفياء وهم القلة القليلة بمثابة انتحار وزهق للأنفس في ظل تلك الفتن التي عصفت بجيش الإمام الحسن إذ كانت تهدد أصل الإسلام والعترة الهادية ، وفي ظل عدم تكافؤ الفريقين ، وتمرد كبير للأمة الإسلامية على سبط رسول الله والعترة الهادية ، ووجود طاغية جبار لا يعلم بشدة انتقامه وبغيه .
فيما لو استمر القتال - إلا الحسن (عليه السلام) .

خاطب الإمام الحسن (عليه السلام) المعترضين كثيراً لإفهامهم أهداف صلحه ، فمما قاله لبشير الهمداني : " ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل " (١) ، وقوله في خطاب له بعد الصلح : " أما بعد أيها الناس ، فإن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون ، إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " (٢) (٣) .

ويروي ابن عبد البر : قال معاوية للحسن (عليه السلام) بعد الصلح : قم فاخطب الناس ، واذكر ما كنت فيه .

فقام الحسن فخطب فقال : " الحمد لله الذي هدى بنا أولكم ، وحقن بنا دماء آخركم ، ألا إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحقّ به مني ، وإما أن يكون حقي فتركته لله ، ولإصلاح أمة محمد (صلى الله عليه

(١) الإمامة والسياسة : ٢٠٣ .

(٢) الأنبياء : ١٠٩ - ١١١ .

(٣) مروج الذهب : ٤٣١ / ٢ .

وآله) وحقن دمائهم " ، قال : ثم التفت إلى معاوية فقال : (وإن أدري لعلّه فتنّة لكم ومَتَاعٌ إلى حين) ، ثم نزل . فقال عمرو لمعاوية : ما أردت إلا هذا (١).

ولما أراد الإمام الحسن عليه السلام المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة بكتاب الصلح خطب فقال في خطبته : " و عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " (٢).

وسار إلى الكوفة . فلقي معاوية بالكوفة ، فبايعه وبايعه عمرو بن سلمة الهمداني ، فقال له معاوية : يا حسن قم فاعتذر ، فأبى فأقسم عليه ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، أيها الناس إنكم لو طلبتم بين جابلق وجابرس رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين ، وإن الله قد هداكم بأولنا محمد (صلى الله عليه وآله) ، وإن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصالح الأمة وحقن دمائها ، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم ، وقد رأيت أن أسالمة وقد بايعته ، ورأيت أن حقن الدماء خير مما سفكها ، وأردت صلاحكم وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر ، وإن أدري لعله فتنّة لكم ومَتَاعٌ إلى حين " . ثم سكت وتفرق الناس (٣).

وفي رواية : إن معاوية قال للحسن : يا أبا محمد إنك قد جدت بشيء لا تطيب أنفس الرجال بمثله ، فأخرج إلى الناس فأظهر ذلك لهم ، فقام الحسن (عليه السلام) فقال : " إن أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، إن هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إما أن يكون حق رجل كان أحق به مني فأخذ حقه ، وإما أن يكون حقي فتركته لصالح أمة محمد وحقن دمائها ، فالحمد لله الذي أكرم بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم " (٤) .

وعن أبي سعيد عقيصاء (٥) قال : قلت للحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) : يا ابن رسول الله لمّ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ ؟

(١) الاستيعاب : ٣٨٩/١ .

(٢) أنساب الأشراف : ٤٢/٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٢/٣ .

(٤) المصدر السابق : ٤٣/٣ .

(٥) قال الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين (ج٣، ص١٣٤) في تصحيحه لحديث (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض) بسندٍ عن أبي سعيد عقيصاء التيمي عن أبي ثابت مولى

أبي ذر: هذا الحديث صحيح الإسناد وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون ولم يخرجاه - أي البخاري ومسلم في صحيحيهما - . وفي لسان الميزان (ج ٢ ، ص ٤٣٣) قال ابن حجر في (من اسمه دينار) : عن علي يعد في موالي بني تيم قال النسائي : ليس بقوي ، وقال الدارقطني : متروك الحديث ، وقال السعدي : غير ثقة . انتهى . وقال البخاري : يتكلمون فيه ، وقال ابن عدي - أي في كامله - : ليس له رواية يعتمد عليها عن الصحابة وإنما له قصص يحكيها لعلي والحسن والحسين وغيرهم وهو كوفي من جملة شيعتهم . وقال ابن معين : ليس بشيء شر من رشيد الهجري وحبّة العرنبي وأصبع بن نباتة ، وذكره ابن حبان في الثقات في عقيصا فقال صاحب الكرابيسي : يروي عن علي وعمار وعنه محمد بن جحادة . وقد أخرج له الحاكم في المستدرک وقال : ثقة مأمون ولم يتعقبه المؤلف في تلخيص المستدرک . وقال أبو حاتم : هو لين وهو أحب إلي من أصبع بن نباتة .

وذكره الشيخ الطبرسي بإسم أبي سعيد عقيصي في احتجاج الإمام الحسن (عليه السلام) على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقه (الاحتجاج ، ص ٣٤٢) .

وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٣ في أولياء علي عليه السلام قال : وأبو سعيد عقيصان - بفتح العين المهملة، والقاف قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين ، والصاد المهملة والنون بعد الألف - من بني تيم الله بن ثعلبة .

وذكره الشيخ في رجاله ص ٤٠ فعده من أصحاب علي عليه السلام وقال : " دينار يكنى أبا سعيد ، ولقبه عقيصا ، وإنما لقب بذلك لشعر قاله .

و في حرف العين ذكره ابن حجر بإسم عقيصاء أبو سعيد التيمي (دينار ، عقيصاء) قال : روى عنه الأعمش والحارث بن حصيرة وقال : رشيد الهجري سيئ المذهب وعقيصاء شر منه . انتهى . وقد تقدم باقي الكلام عليه في دينار (٣٠٧٦) . انتهى كلام ابن حجر في لسان الميزان .

ومن معاصريهم ممن سلك نهج اسلافه في تضييف من يروي فضائل علي عليه السلام وأهل البيت والأحاديث الدالة على ضلالة من خالفه أبو اسحاق الحويني في تنبيه الهاجد ج ٢ ، ص ٧٠ قال : وعقيصاء هذا تركه الدارقطني ، وقال الجوزجاني غير ثقة ، وذكر ابن أبي حاتم في الجرح عن ابن معين قال : ليس بشيء شر من رشيد الهجري وحبّة العرنبي وأصبع بن نباتة انتهى . وهؤلاء متروكون وهذه العلة كافية في إسقاط الخبر ومولى أبي ذر لا أعرفه بجرح ولا تعديل وهذا الحديث ليس بثابت . والله اعلم .

وفي مجمع الزوائد للهيثمي بعد رواية حديث قتال الناكثين والقاسطين والمارقين قال : قال الطبراني : أبو سعيد متروك . قال سمعت عماراً يقول : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين " . يقول أبو بكر الهيثمي : قلت : أبو سعيد ليس متروكاً فقد أخرج الحاكم والذهبي بإسنادهما حديث : " علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردها عليّ الحوض " فقالوا : هذا حديث صحيح الإسناد ، وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون . (انظر المستدرک على الصحيحين ، ج ٣ ، ص ١٣٤) .

وهذا الحديث - أي حديث قتال الناكثين والقاسطين والمارقين - رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وجماعة من اعلام الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري وعبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وعمار بن ياسر ، وكثير من الحفاظ روه عن هؤلاء الصحابة .

فقال : " يا أبا سعيد ألسنت حجة الله على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي (عليه السلام) ؟

قلت : بلى .

قال : ألسنت الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولأخي هذان ولداي إمامان قاما أو قعدا ؟

قلت : بلى .

وقولنا : قد بلغوا غاية في التناقض والتضارب ، وكيف يضعفون كل من يثبت عندهم بأنه من شيعة علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ومن يروي الأحاديث الصحيحة في فضلهم فابن عدي في كامله ج ٤ ، ص ٣٤٢ روى عن محمد بن دبب بن بكار عن السري بن يزيد عن سهل بن صالح عن عباد بن عبد الصمد عن انس قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وآله" : صلى عليّ الملائكة وعلى بن ابي طالب سبع سنين ، ولم يصعد او يرتفع شهادة ان لا اله الا الله من الارض الى السماء الا مني ومن علي بن ابي طالب .

فيروي ابن عدي ويقول بعد الحديث : قال الشيخ (أي البخاري) : وعباد بن عبد الصمد له عن انس غير حديث منكر وعامة ما يرويه في فضائل علي ، وهو ضعيف منكر الحديث ومع ذلك غالي في التشيع .

وسبب انكار البخاري ومن أخذ بقوله هذا لحديث عباد هذا لأن عباد يبغض معاوية ، فيقول ابن عدي : عباد بن عبد الصمد ابو معمر يحدث عن انس بالمناكير (لأنها في فضائل علي "ع"). وفي أسد الغابة : عن عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم أنبأنا ذاكر بن كامل الخفاف أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الباقرجي أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المقرئ العلاف أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرجي حدثنا محمد بن جرير الطبري حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الأسود عن محمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن مسلم عن أبيه عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد صلت الملائكة علي وعلى بن علي سبع سنين وذاك أنه لم يصل معي رجل غيره . (أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام) .

قال : فأنا اذن إمام لو قمت وأنا إمام لو قعدت ، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل .

يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى لم يجز أن يسفّه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة ، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً ، ألا ترى الخضر (عليه السلام) لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي ، هكذا أنا ، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة ، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتِل " (١) .

والإمام الحسن أحد أفراد الصفوة المُختار من الله تعالى بالنص ، فهو كالقرآن في إمامته فهما مركز الثقل في الإسلام أي القرآن والإمام الحسن في مدة إمامته وخلافته نوّه بهما رسول الله وسماهما الثقلان فمن خالفهما ظل .

فليبيح معاوية ، وليخنه عبيد الله بن عباس وليخذله جميع المسلمين لكن لن تبغ عليه مودته الواجبة في كتاب الله ، ولن تخونه إمامته المفروضة بأمر الله ، ولا بد لنا أن ننقاد بشيء كثير من العناية والإهتمام وفهم إيماناته وإيضاحاته (عليه السلام) لمن ضاق بهم الأفق في استيعاب ذلك التدبر الذي انتشل الأمة من عظام الأمور من أنصاره وأعدائه سواء .

يجيب الإمام الحسن على السؤال العاتب من سليمان بن سرد الخزاعي وصفه ابن قتيبة بسيد العراق ورئيسهم (٢) فيقول (عليه السلام) : " أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا ولدنيا أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة ، ولا أمضى عزيمة ، ولكني رأيي غير ما رأيتم ، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلموا لأمره ، والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر " (٣) .

(١) ابن طاووس ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ج ١ ، ص ٢٨١ . ٢٨٢ .

(٢) الإمامة والسياسة ، ص ١٥١ .

(٣) بحار الأنوار : ٢٩/٤٤ .

وعن يوسف بن مازن الراسبي أنه لما صالح الحسن بن علي (عليهما السلام) عُذِلَ وقيل له : يا مذل المؤمنين ومسود الوجوه ، فقال : لا تعذلوني فإن فيها مصلحة (١) .

وقوله (عليه السلام) : " ألا أن أمر الله واقع إذ لا له رافع وإن كره الناس ، إني ما أحببت أن لي من أمر أمة محمد مثقال حبة خردل يهرق فيه محجمة من دم ، قد علمت ما ينفعني مما يضرني فالحقوا بطيبتكم " (٢) .

وقوله : " إنما هادنت حقناً للدماء وضناً بها وإشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي " (٣) .

ومن ذلك نعلم أنه (عليه السلام) يرى ما لا يراه خيرة أصحابه فضلاً عن المناققين والمتخاذلين ممن كان في جيشه لأن الحسن (عليه السلام) واسع الملكات وأكثر وزناً بالمقاييس التي يجهلها غيره ، هو يمثل تراث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأنصح خلق الله لخلقه ، وينظر إليهم بخير ما ينظرون لأنفسهم وهذه من ميزات الإمام المعصوم التي فضله الله تعالى بها .

(١) مناقب ابن شهر آشوب : ٣٥/٤ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق : ١٣ / ٢٦٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٢٧/٤٤ .

المبحث الثاني

١. الاعتراضات والردود :

اعترض أصحاب الإمام الحسن " عليه السلام " وكل منا قد قرأ وسمع تلك الاعتراضات ، ومنا من نفى وجود مثل تلك الاعتراضات الطائشة من أولئك الأصحاب ، وبالرغم من شدة وقع تلك الاعتراضات في نفس الإمام الحسن (عليه السلام) لكنه تقبلها وأجاب عليها بما هو أهله ، وندموا لما عرّضوا به أمام الإمام المعصوم ، وقد كان قد اعترض حجر بن عدي وعمرو بن الحمق ومالك أيضاً على أمير المؤمنين لشدة بأسهم في القتال بصفين وقربهم من الفتك بمعاوية وأعوانه الباغين^١ ، وكان رد أمير المؤمنين لا يختلف كثيراً عن رد الإمام الحسن في اقناعهم وارشادهم ، فهم البقية من الصحابة الأبرار ، والنخبة المختارة من الشيعة الأوفياء وأنهم كانوا يبديون اعتذارهم بعد ذلك وإن كان ذلك لم يكن يكفي لالتماس العذر لهم على هذه الاعتراضات من أولئك الأوفياء الذين يتوجب أن يكونوا أكثر الناس تفهماً ورضاً في تلك الظروف التي لاقاها الحسن (عليه السلام) ، وأكثر ولاء وطاعة للمعصوم بما تيقنوه من حكمة وصحة كل فعل وقول منه (عليه السلام) .

وفي ذلك أيضاً يقول الشهيد نور الله التستري : قد يقع كثيراً الاعتراض والعتاب من الخادم بالنسبة إلى مخدومه بل من المحب إلى محبوبه كما روي أنه لما سلم الحسن بن علي (عليه السلام) الخلافة إلى معاوية جاء إليه قيس بن سعد بن عباد من خلص شيعته وأخص أصحابه وخاطبه وعاتبه بقوله يا مذل المؤمنين فأخذ عليه السلام بيده ملاطفة وقرره عنده حتى سكن وجعه الحاصل من ذلك لشدة المحبة ونهاية الغبطة في شأن إمامه ومولاه وأمثال ذلك^(٢) .

وقبل صفين اعترض الاصحاب على امير المؤمنين عليه السلام أيضاً ، قال ابن قتيبة :

(١) فعندها خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي ، فجعلا يظهران البراءة من أهل الشام واللعة لهم ، فأرسل إليهما علي أن (كفا عما يبلغني عنكما) فأقبلا إلى علي وقالوا : يا أمير المؤمنين ! ألسنا على الحق ؟ قال : بلى ! قالوا : فلم تمنعنا عن شتمهم ولعنهم ؟ فقال : لأنني أكره لكم أن تكونوا لعانين شتامين ، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم كذا لكان ذلك أصوب في القول وأبلغ في الرأي ، ولو قلتم : اللهم ! احقن دماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهددهم من ضلالتهم ، لكان ذلك أحب إلي منكم . فقالوا : يا أمير المؤمنين فإننا نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك . (الفتوح لابن اعثم ، ٥٤٣/٢) .

(٢) الصوارم المهرقة في الرد على الصواعق المحرقة : ١٩٤ .

وذكروا أن عليا استشار الناس ، فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامه ذلك ، غير الأشر النخعي ، وعدي بن حاتم ، وشريح بن هانئ ، فإنهم قاموا إلى علي ، فتكلموا بلسان واحد ، فقالوا : إن الذين أشاروا عليك بالمقام ، إنما خوفوك بحرب الشام ، وليس في حريمهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده . فقال لهم : " إن استعدادي لحرب أهل الشام ، وجرير عندهم ^(١) ، إغلاق للشام ، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ، ولكني قد وقت له وقتا لا يقيم بعده إلا أن يكون مخدوعا أو عاصيا ، ولا أكره لكم الإعداد " ^(٢) .

فما أجاب به الإمام الحسن (عليه السلام) حجر بن عدي بعد اعتراضه بما يرد به علي الخالص من أصحابه " قد سمعت كلامك في مجلس معاوية ، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كراييك " ^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن أهل الكوفة والشام وغيرها من الأمصار الإسلامية استقبلوا شروط الحسن (عليه السلام) وصلحه بالرضا لما رأوا فيها من حفظ مصالحهم واختياراتهم وعدّوها نكران للذات من الحسن (عليه السلام) في سبيل حفظ دماء المسلمين وحققتها .

وقوله لحجر أيضاً : " وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم ، والله تعالى كل يوم في شأن " ^(٤) .

وكلهم لم يحظ من الحسن (عليه السلام) إلا بالردّ الجميل والاستمهال إلى موت معاوية ، ولا اريد التوسع في ثبوت تلك الاعتراضات من عدم ثبوتها فالبعض ينكر وجود مثل تلك الاعتراضات من الأصحاب وأنا أميل إلى وجودها .

واعترض آخر من المسيب بن نجبة بعد قول معاوية كل شرط شرطته لكم فهو مردود ، وكل وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدمي ^(٥) ، أملاً من المسيب أن يتراجع الإمام عما اتخذ من

(١) اي جرير بن عبد الله البجلي وكان قد قدم على معاوية من الكوفة بكتاب من علي عليه السلام .

(٢) الإمامة والسياسة : ٨٥/١ .

(٣) الفتوح : ٢٩٤/٤ . وفيه نص اعتراض حجر بن عدي ولم نذكر نصه لأننا أردنا توضيح نص كلام الإمام الحسن وأهدافه الحقيقية من الصلح ، ونجد في كل ردوده وخطبه مضمون حقن الدماء والابقاء على الاسلام والمسلمين .

(٤) الفتوح : ٢٩٤/٤ .

(٥) المصدر نفسه .

قرار ، أجاز الإمام الحسن (عليه السلام) لبيّن هدفه الأساس من صلحه ولا يهّمه اعتراض من اعترض لأنه إمام معصوم وحكمته بالغة :

" يا مسيب إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه ، ولو أني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء ، ولا أثبت عند الوغاء ، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء ، ولكني أردت بذلك صلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله ، حتى يستريح بر ، ويستراح من فاجر " (١) .

ومما جاء في البحار عن كتاب الغيبة قوله : " أيها الناس تيقظوا من رقدة الغفلة ، ومن تكاثف الظلمة ، فولذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، وتردى بالعظمة ، لئن قام إلي منكم عصابة بقلوب صافية ، ونيات مخلصه ، لا يكون فيها شوب نفاق ، ولا نية افتراق لأجاهد بالسيف قدما ولأضيقن من السيوف جوانبها ، ومن الرماح أطرافها ، ومن الخيل سناكبها فتكلموا رحمكم الله ، فكأنما أجموا بلجام الصمت عن إجابة الدعوة إلا عشرون رجلا فإنهم قاموا إلي فقالوا : يا ابن رسول الله ما نملك إلا أنفسنا وسيوفنا ، فما نحن بين يديك لأمرك طائعون ، وعن رأيك صادرون ، فمرنا بما شئت ، فنظرت يمنا ويسرة ، فلم أر أحداً غيرهم " (٢) .

وعندما خطبهم قائلاً : " إنه بلغني أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك ، فخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر وتتنظرون ، ونرى وترون " ، فسكتوا فما تكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف ، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ؟ أين خطباء مصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعوة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله ولاعنتها وعارها " (٣) .

فكان عدي أول الناس عسكرا ، ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعتل بن قيس الرياحي وزياد بن حصفة التيمي ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرصوهم ، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي ابن حاتم في الإجابة والقبول ، فقال لهم الحسن (عليه السلام) : " صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرّفكم بصدق النية والوفاء ، والقبول ، والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل " (٤) .

(١) المصدر نفسه .

(٢) بحار الأنوار : ٦٧/٤٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٥١/٤٤ .

(٤) المصدر نفسه .

ويبدو أن الحسن (عليه السلام) في بعض ردوده استشرف خذلان القوم لأخيه الشهيد ، فما أشارت إليه المصادر أن المسيب بن نجبة بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) اجتمع بالمؤمنين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإننا قد ابتلينا بطول العمر في هذه الدنيا والتعرض لأنواع البلاء والفتن ، فنسأل الله أن لا يجعلنا ممن يقال له غداً : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)^(١) ، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا وتكريظ شيعتنا حتى بلا الله أختيارنا فوجدنا كاذبين في مواطنين من مواطن ابن بنت نبينا عليه السلام فوجدنا كتابين وذلك أن الحسين بن علي (عليهما السلام) أتتا كتبه وقدمت علينا رسله وأعذر إلينا في أمره يسألنا أن ننصره علانية وسرا ، فنحنينا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا ، فلا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا دفعنا عنه بألسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له نصره من عشائرتنا ، فما عذرنا غدا عند الله ، وما حجتنا بين يدي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتل ابنه وحبيبه وريحانته بين أظهرنا ، لا والله ما لنا عذر غير أن نخرج فنقتل من قتله أو شارك في دمه وأعان على قتله ، فعسى الله تبارك وتعالى أن يرضى بذلك عنا^(٢) .

وتكلم سليمان بن سرد الذي كان من ضمن المعترضين على أن لا يسالم الحسن (عليه السلام) معاوية ، وكان شيخ القوم وعميدهم فقال : أما إنه دهر ملعون قد عظمت فيه الرزية وشمل فيه الخوف والمصيبة ، وذلك إنا كنا ندعوهم إلى بيعتنا ونحثهم على المصير إلينا ، فلما قدموا إلينا أبينا وعجزنا وتربصنا حتى قتل حبيبنا وولد نبينا وسبطه وسلالته وهو في ذلك يستصرخ فلا يصرخ ، ويدعو فلا يجاب ، ويستغيث فلا يغاث ، حتى قتلوه ثم عدوا عليه فسلبوه بعد أن قتلوا شيعته وانتهكوا حرمة ، ألا فانهضوا فقد سخط الله عليكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء أبداً رضي الله عنكم^(٣) .

وقال آل ياسين : وشاءت المقادير أن لا يفارق الزعيمان الصديقان الدنيا - أي سليمان والمسيب - حتى يأخذا جوابهما - عملياً . عن عتابهما الطائش الذي قابلا به إمامهما أبا محمد (عليه السلام) ، فيما أنكرا عليه من الصلح .

(١) فاطر : ٣٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٢٧ ؛ الفتوح : ٦ / ٢٠٤ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٢٦ ؛ الفتوح : ٦ / ٢٠٥ .

فبايعهما على الأخذ بثأر الحسين (عليه السلام) في السنة الخامسة والستين للهجرة ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة ، ثم لم يكن معهما حين الجد في ساحة عين الوردة غير ثلاثة آلاف ومائة ، ومنيا من خذلان الناس بما ذكّرهما في الصميم من قضايا أهل البيت (عليهم السلام) .

ثم استشهد سليمان والمسيب وهما زعيما حركة التوابين في عين الوردة ، واستشهد معهما . يوم ذاك . أكثر من كان قد انضوى إليهما (١) .

ووجدت في كتاب خطبة لأمير المؤمنين بعد عودته من البصرة إلى الكوفة يعاتب فيها من تقاعسوا عن نصرته في الجمل منهم سليمان بن صرد منها قوله : " ألا وإنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليكم عاتب ، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ونرى منهم ما نرضى " (٢) .

فما كان يدفعهم إلى الاعتراض؟ وكيف عشت عيون بعض المسلمين عن رؤية الحق ، والنظرة الدقيقة في النصوص توضح الأمر ، وتثبت أن صلحه عليه السلام كان تحقيقاً لمرضاة الله تعالى .

وكان سفيان بن أبي ليلى من شيعة أمير المؤمنين والحسن (عليه السلام) ، ولكنه دخل على الإمام وعنده رهط من الناس فقال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : " وعليك السلام يا سفيان " .

(١) صلح الحسن (ع) : ١٢٠ .

(٢) الفتوح : ٤٩١ / ٢ .

وقال ابن اعثم : وأقبل إليه سليمان بن صرد الخزاعي مسلماً ، فقال له علي رضي الله عنه : يا سليمان إنك ارتببت وتربصت وراوغت وقد كنت من أوثق الناس في نفسي فما الذي أقعدك عن نصرتي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : لا ترد الأمور على أعقابها ، ولا توبخني بما قد مضى ، واستبق مودتي يخلص لك نصيحتي ، فقد تعذرت أمورا تعرف فيها عدوك من وليك ، قال : فسكت عنه علي .

فجلس سليمان بن صرد قليلاً ثم نهض إلى المسجد الأعظم والحسن بن علي قاعد في المسجد ، فقال : أبا محمد ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه على رؤوس الأشهاد من التبكيت والتأنيب ؟ فقال الحسن : إنما يعاتب من يرجو مودته النصيحة ، فقال سليمان : أما إنه قد بقيت مواطن يتقصف فيها القنا وتتلم فيها السيوف ، ويحتاج فيها إلى أمثالي ، فلا تستغشوا مودتي ولا تتهموا نصيحتي ، فقال له الحسن : أي رحمك الله ما أنت بالظنين . الفتوح : ٤٩٢ / ٢ .

يقول سفيان : فنزلت فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه فقال : كيف قلت يا سفيان ؟ قال : قلت : السلام عليك يا مُذَلَّ المؤمنين ، والله بأبي أنت وأمِّي أنذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة ، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ، ومعك مئة ألف كلهم يموت دونك ، وقد جمع الله عليك أمر الناس .

فقال له : " يا سفيان إنّنا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به ، وإنّي سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا تذهب الأيّام واللّيالي حتّى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ، ولا يموت حتّى لا يكون له في السماء عاذر ، ولا في الأرض ناصر ، وإنّه لمعاوية . وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره " .

قال لي : " ما جاء بك يا سفيان ؟ " ، قلت : حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، قال : " فأبشر يا سفيان فإنّي سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمّتي كهاتين - يعني السبّابيتين - أو كهاتين - يعني السبابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى ، أبشر يا سفيان ، فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر ، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) " .

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن الثعلبي في تفسيره ومسند الموصلي وجامع الترمذي عن يوسف بن مازن الراسبي أنه لما صالح الحسن (عليه السلام) عدل وقيل له : يا مذل المؤمنين ومسود الوجوه ، فقال (عليه السلام) : " لا تعذلوني فإن فيها مصلحة ، ولقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) في منامه يخطب بنو أمية واحد بعد واحد فحزن فأتاه جبرائيل بقوله : " إنا أعطيناك الكوثر " و " إنا أنزلناه في ليلة القدر " ، وفي خبر عن أبي عبد الله عليه السلام فنزل : " أفرايت إن متعناهم سنين ... " ^٢ ، ثم أنزل : " إنا أنزلناه ، يعني جعل الله ليلة القدر لنبيه خيرا من ألف شهر ملك بني أمية ^(٣) .

ورواه ابن الأثير قال : أخبرنا ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي قال : حدثنا محمود بن غيلان ، أخبرنا أبو داود الطياليسي ، أخبرنا القاسم بن الفضل الحراني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) بعد ما

(١) بحار الأنوار : ٥٩/٤٤ .

(٢) الشعراء : ٢٠٥ .

(٣) بحار الأنوار : ٥٨ / ٤٤ .

بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال : " لا تؤنبي رحمك الله فإن النبي (صلى الله عليه وآله) أرى بني أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت " إنا أنزلناه في ليلة القدر * ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر " تملكها بعدي بنو أمية (١) .

٢. كتابات بعض العلماء والمفكرين في أهمية المصالحة

لقد شخّص الإمام الحسن (عليه السلام) أن الظرف يفرض الصلح والهدنة فأثر ذلك وأثبت التاريخ والتجربة صدق نظره ، والأمر شرعاً موكولٌ إليه فهو الإمام الحق وبيده الجهاد وبيده الصلح ، والمسألة تدور مدار المصلحة من عقد الصلح في ذلك الظرف وتلك المرحلة التاريخية العسيرة .

قال السيد علي بن طاووس مخاطباً ولده في كشف المحجة : وليس بغريب من قوم أعابوا جدك الحسن عليه السلام على صلح معاوية وهو كان بأمر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد صالح جده الكفار وكان عذره في ذلك أوضح الأعذار ، فلما قام أخوه الحسين عليه السلام بنصرهم وإجابة سؤلهم وترك المصالحة ليزيد المارق ، كانوا بين قاتل وخاذل حتى ما عرفنا أنهم غضبوا في أيام يزيد لذلك القتل الشنيع ولا خرجوا عليه ولا عزلوه عن ولايته ، وغضبوا لعبد الله بن الزبير وساعده على ضلالته وافتضحوا بهذه المناقضة الهائلة وظهر سوء اختياراتهم النازلة ، فهل يستبعد من هؤلاء ضلال عن الصراط المستقيم وقد بلغوا إلى هذا الحال السقيم العظيم الذميم (٢) .

ومن ناحية الشرع في الصلح يقول الشهيد مطهري :

لو سئلنا هل الإسلام دين صلح أم دين حرب فبماذا نجيب ؟ فإذا رجعنا إلى القرآن نرى تشريع الحرب كما نرى تشريع الصلح فالآيات التي تدعو للحرب مع الكفار والمشركين كثيرة كقوله تعالى :

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة : ١٤/٢ .

(٢) كشف المحجة لثمره المهجة ، ص ٤٦ .

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(١)، وغيرها من الآيات، كما أن هناك آيات الصلح كقوله تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٢)، وفي آية أخرى (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)^(٣)، إذن الإسلام دين أيهما ؟ الإسلام لا يجعل الصلح قاعدة في كل الظروف كما أنه لا يقبل الحرب دائماً بل هما تابعان للظروف والأهداف، والمسلمون سواء كانوا في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) أو في زمن أمير المؤمنين أو الحسن والحسين والأئمة الآخرين (عليهم السلام) أو في زماننا ففي كل زمان وعلى أي حال يجب أن يكون سعيهم لتحقيق الهدف ، وهدفهم الإسلام وحقوق المسلمين يجب أن يأخذوا الظروف والأوضاع بعين الاعتبار ، فإن كان بالقتال يمكنهم تحقيق الهدف بشكل أفضل فعليهم سلوك هذا الطريق، وإذا رأوا أحياناً أن الهدف يمكن تحقيقه بالصلح بشكل أفضل فعليهم اختيار هذا السبيل^(٤).

ويقول الشهيد الثاني في أحكام الباغي : وقتاله كقتال الكفار في وجوبه على الكفاية ووجوب الثبات له وباقي الأحكام السالفة فذو الفئة كأصحاب الجمل ومعاوية يُجهز على جريحهم ويتبع مدبرهم أو يقتل أسيرهم ، وغيرهم كالخوارج يفرقون من غير أن يتبع لهم مدبر أو يقتل لهم أسير أو يجهز على جريح ، ولا تسبى نساء الفريقين ولا ذراريهم في المشهور ، ولا تملك أموالهم التي لم يحوها العسكر اجماعاً^(٥).

كما أنهم يتفقون على جواز المهادنة والمصالحة ولكنهم يشترطونها بالمصلحة ، يقول المحقق في المهادنة : وهي المعاهدة على ترك الحرب مدة معينة وهي جائزة إذا تضمن مصلحة المسلمين أما لقتلهم عن المقاومة ولما يحصل به الاستظهار أو لرجاء الدخول في الإسلام مع التبرص^(٦).

(١) البقرة : ١٩٠ .

(٢) الأنفال : ٦١ .

(٣) النساء : ١٢٨ .

(٤) مطهري، مرتضى، حياة الأئمة الأطهار ، ص ٦٨ .

(٥) العاملي ، زين الدين الجبعي ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : ٦٦٨/٣ .

(٦) المصدر نفسه نقلاً عن شرائع الإسلام للمحقق الحلي : ٣٧٩/٢ .

وهي جائزة مع المصلحة للمسلمين لقلتهم أو لرجاء اسلامهم مع الصبر أو ما يحصل به الاستظهار ثم مع الجواز قد تجب مع حاجة المسلمين إليها وقد تُتاح لمجرد المصلحة التي لا تبلغ حد الحاجة ولو انتقت المصلحة انتقت الصحة^(١).

قال السيد البدرى بخصوص جواب الإمام الحسن (عليه السلام) على مبادرة معاوية : إن تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) كان بحدود السلطة المدنية التي كانت له في العراق وقد جاءت ببيعة مشروعة، أما الإمامة الدينية الهادية المعصومة التي جعلها الله له فهي غير قابلة للتنازل لأنها لم تأت على أساس بيعة الناس بل جاءت بالوصية من النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يبايعه الناس على الحكم، لأنها تترتب عليها مسؤولية حفظ الرسالة وقيادة الناس إلى الله تعالى بشكل مضمون النتيجة.

وأشار: من الضروري أن نتعرف على طريقة تفكير الإمام بقضية الصلح التي عرضها معاوية فما هي الأصول التي يستحضرها الإمام الحسن (عليه السلام) في فكره ويستحضرها أيضاً أي رجل مخلص من رجالات جيشه وهم أكثر ، والحسن (عليه السلام) بعبارة موجزة هو أحد منظومة الإمامة الهادية بعد النبي (صلى الله عليه وآله) مهمتها المحافظة على الشريعة وهداية الناس^(٢) .

(١) المصدر نفسه : ٦٥٤/٣ .

(٢) البدرى، صلح الإمام الحسن ع ، قراءة جديدة ، ص ٨٣ - ٨٤ .

الفصل الرابع

نظرة على شروط الصلح

المبحث الأول

١. شروط الصلح :

من شروط الصلح تسليم الأمر على أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وبسيرة الخلفاء الصالحين (١).

والمادة الثانية أن يكون الأمر للحسن بعده فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين ، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد (٢).

والمادة الثالثة أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ، وأن لا يذكر علياً إلا بخير (٣)

وفي بعض الروايات والمصادر كما في كامل ابن الأثير نرى إيهاماً وتضليلاً وتسويفاً . فيما يخص هذه المادة - أراد به الأمويون والعباسيون أن يجعلوا من الحسن (عليه السلام) متهاوناً في قضية شتم الإمام علي (عليه السلام) فوضعوا في المادة على أن لا يشتم علياً وهو يسمع - أي الإمام الحسن يسمع - ألا يعد هذا موافقة من الإمام الحسن ورضاه بسب أبيه على أن لا يسمع ذلك ؟ .

ومادة أخرى وهي من أهم المواد وتعد المادة الخامسة في بعض المصادر ، والتي كانت من الأهداف الأساسية للإمام الحسن (عليه السلام) في عقده الصلح وهي : أن الناس آمنون حيث كانوا في جميع بلاد المسلمين ، وأن لا يتبع معاوية أحداً بما مضى ، وأن لا يأخذ أهل العراق بأحنة ، ولا يبغى للحسن والحسين وأهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق (٤).

ولنرى ما في الشروط التي أملاها الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية ليكشفه على حقيقته ، ففي الشرط الأول مهد إلى بغي وفجور معاوية ومخالفته لسنة رسول الله وعرض بعدم صلاحية خلافة الخلفاء الثلاثة وفي هذا الشرط نراه يصرح بعدم شرعية خلافتهم ، وفي علمه أن معاوية سوف لن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله لأن الحسن (عليه السلام) صرح في كثير من خطبه آنذاك بفجور معاوية .

(١) بحار الأنوار : ١١٥ / ١٠ .

(٢) المصدر نفسه ؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٩٤ ؛ الإصابة لابن حجر العسقلاني : ١٢ / ٢ .

(٣) أعيان الشيعة : ٤٣ / ٤ ؛ شرح النهج : ١٥ / ٤ .

(٤) الإمامة والسياسة : ٢٠٠ ؛ مقاتل الطالبين : ٢٦ ؛ بحار الأنوار : ١٠١ / ١٠ .

أما الشرط الثاني قد يختلف كثيراً عن الشرط الأول في علم ومعرفة الإمام الحسن (عليه السلام) بعدم وفاء معاوية بشيء مما في هذا الشرط ، وسوف لن يترك معاوية الإمام الحسن (عليه السلام) ما دام يريد أن يعهد بها إلى ابنه يزيد الفاسق ، لذلك نراه (عليه السلام) يصرح في النص قائلاً : "فإن حدث في حدث " .

والسياسة الأموية ومجهود معاوية في الإخلال ببقية الشروط - سواء الخاصة بالكف عن سب أمير المؤمنين والعهد بالأمان للحسن والحسين وأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم وبقية المسلمين - ما طفحت به السير والتواريخ في استباحة الدماء والأرواح ، فهذا حاله وهو نال الأمر طوعاً وبالصلح والعهد والمواثيق ، فما حال لو غلب على الأمر بالاكراه والحرب والسيف لكان ما أبقى للدين من ناع كما قال الإمام الحسن (عليه السلام) ، فوقف موقف المنتقم الحاقده من الحسن (عليه السلام) وشيعته لا تأخذه بهم رافة ولا رحمة .

وعلى هذا نقول : إن من يقرأ محتوى هذه البنود لا يجد فيها من شيء يتصل بمصلحة الإمام الحسن (عليه السلام) ، أو شيء يهدف إلى فائدته سواء في نفسه أو في أهل بيته أو في شيعته سوى حقن دمائهم والإبقاء على الدين وأهله ، وإن هذه الشروط جميعها تصب في مصلحة واحدة يهدف إليها الإمام الحسن (عليه السلام) هي حفظ الدين ودماء المسلمين ، وكثيراً ما تحدثت عنها السير والتواريخ وجاءت في خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ، إلا شرط تسلمه الأموال وزيادة العطاء له ولأخيه ولبني هاشم وتفضيلهم على سواهم ، ونراه يشذ عن بقية المواد ويختلف تماماً ولا يتناسب مع توجهاته والتزاماته كإمام معصوم منصّب من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)

٢ . شرط الأموال وزيادة العطاء

إن من يقرأ الأخبار في قضية الصلح عدا خطاب الحسن (عليه السلام) سيجد طوعناً كثيرة وآراء متضاربة وأخبار مشوشة هي وليدة تلك المؤثرات والدعاوات المغرضة من الأمويين والعباسيين لتسجيل هذه الأخبار كحقيقة واقعة من غير أن يقفوا عندها ويستندوا على ما خفي عليهم أو ما تجاهلوه من أخبار في القضية ذاتها لا يمكن من خلالها تصديق ما سطره لمنفعة عاجلة أو جهلاً بالواقع ، ولكي نزداد بصيرة ونتيقن من عدم ورود هذه المادة أو عدم قبول الإمام الحسن (عليه السلام) لهذه المادة نذكر نص المادة أولاً ثم الأسباب التي تدعونا إلى عدم التسليم بوجود هذه

المادة من ضمن الشروط التي وافق عليها الإمام الحسن وأملاها على معاوية ، ولا اعلم رقم معين لهذه المادة فجاءت في بعض المصادر على أنها الرابعة كأنها حشرت بين المواد الأربعة الرئيسية قبل المادة التي تتضمن أمان الناس في بلاد المسلمين من بغي معاوية وبطشه ، والتي قلنا بأنها جاءت الخامسة في بعض المصادر .

أ . نص المادة

إذا أمعنا النظر في الشروط التي عرضتها المصادر نجدها قد جاءت متوافقة مع بعضها وكلها تصب في هدف واحد يبغيه الإمام الحسن (عليه السلام) من صلحه ، وفيها مصلحة عامة للمسلمين مجردة عن المصلحة الخاصة التي نراها في شرط تسلم الأموال ، هذا الشرط الذي يقدر بالمنصب الإلهي للإمام الحسن (عليه السلام) بين المسلمين وهو منصب الإمامة الهادية ، فذلك الشرط الخاص بتسلم الأموال من الحاكم الضال ، هو شرط لا يتوافق مع سيرته عليه السلام ولا سيرة أمير المؤمنين في العدل بين الناس .

والشرط هو استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر ، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم ، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس ، وأن يفرق في أولاد من قُتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم ، وأن يجعل ذلك من خراج دار أجرد (١) .

(١) الإمامة والسياسة : ٢٠٠ ؛ علل الشرائع : ٨١ ؛ البداية والنهاية : ١٤/٨ .

ب . هذا الشرط حقيقة أم تضليل

من الشبهات - التي صاغتها الأيدي المعادية والأقلام المأجورة - هو زيادة العطاء وتسلم الأموال ، فمعظم المؤرخين إنما كانوا يكتبون للسياسة القائمة آنذاك أو لما لا يضيرها على الأقل .

إن كَتَّاب هذه الدعايات - كهذا الشرط وغيره من الروايات التي تطعن في شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) - ومن تلقى تلك الدعايات واعتبرها من عامة المسلمين عبر العصور مع شديد الأسف عاشوا في مجتمع يبغض أهل البيت (عليهم السلام) وحضارة لطالما ثقفت ودأبت على نشر هذا الفكر العدائي والكراهية بحيث إذا مروا بأهل البيت يعبرون عنهم بهذه التعبيرات والأفكار التي لا يجوزونها في رموزهم الذميمة . كما سيأتي ذكره - والنابعة من تراكمات الأخبار المشوشة والموضوعة على علي وذريته (عليهم السلام) .

فمن خلال قراءة هذا الشرط بدقة نجد أن ذلك يعني أن يكون عطاء أي شخص من بني هاشم يزيد على عطاء أي مسلم من عامة المسلمين ، وهذا ينافي سيرة أمير المؤمنين وعدالته في الرعية ، وابنه الحسن الذي هو وصي أبيه الذي لا يخالف سيرته ، وهو المقطوع على أمره بالنص أيضاً ، قال بعد استشهاد أبيه (عليهما السلام) وفي أول خلافته : " ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله " (١) .

والمادة هذه - التي نحن بصدد البحث فيها فيما إذا كانت حقيقة واقعة أم تضليل موضوع من السلطات المعادية لآل بيت النبي (صلوات الله عليهم) - في مصادر جاءت هذه المادة على أنها الرابعة ، ولم نجد لها أصلاً في روايات أخرى ذكرت بنود الصلح ، وسنذكر هذه الروايات ومصادرها في الفصول والمباحث القادمة .

ت . الرؤية السلبية ودوافعها

إن تلك الروايات الطاعنة في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) اتخذها المستشرقون مصدراً استندوا عليه في تكوين الرؤية السلبية عن شخصية الإمام الحسن المعصوم بنص القرآن والسنة

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٠ ؛ الكامل في التاريخ : ١٦/٣ .

؛ لأنهم لم يقرأوا ما بين السطور جيداً ، ولم يقرأوا ويتفكروا بعقولهم ويدققوا في حياة وسيرة الإمام الحسن وأهل البيت (عليهم السلام) بما يليق ومكانتهم العظيمة التي عرفناها من القرآن والسنة ، ولم يأخذوه من جوانبه الصحيحة الحقّة وإنما أخذوه من الجانب المتعصب للسلطة المعادية لأهل البيت (عليهم السلام) ، ومن أولئك الكتاب والمؤرخين العرب النفعيين الضالين الذين مهدوا ذلك للمستشرقين في بث تلك الافكار المسمومة والروايات المشوشة الطاعنة في إمامة الحسن بن علي (عليهما السلام) كالمستشرق لامنس في كتابه فاطمة وبنات محمد قال : إنه . أي الحسن عليه السلام . قعيد الهمة ، تتملكه منذ ذلك الوقت فكرة واحدة هي الوصول إلى إتفاق مع الأمويين ، وترك له معاوية أن يحدد مطالبه جراء تنازله عن الخلافة ، ولم يكتفِ الحسن بالمليون درهم التي طلبها معاشاً له ولأخيه ، بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهم أخرى ، ودخل كورة في فارس طيلة حياته ، وعارض أهل العراق بعد ذلك في تنفيذ الفقرة الأخيرة من الإتفاق ، بيد أنه أجيب إلى كل ما سأله حتى أن حفيد النبي اجترأ فأجهر بالندم على أنه لم يضاعف طلبه وترك العراق مشبعاً بسخط الناس عليه ليقبح بالمدينة (١) .

وهذا بلا شك تحامل على الحسن (عليه السلام) وعلى رسالة جده (صلى الله عليه وآله) التي صانها الإمام الحسن (عليه السلام) ، ولم يكن شئ من هذه الأخبار الكاذبة والمحرفة للحقائق له أصل وجود ، وأنهم اكتسبوا هذا الجهل بالحقائق أو التحامل عمداً أو سهواً من المؤرخين والكتاب العرب الذين طغت على أفكارهم النظرة النفعية والمصلحة المادية ومجاملة السلاطين وسوء النية والروح الانتهازية معتمدين في رواياتهم وطعونهم على ما أصدرته السياسة الأموية والعباسية في تحريف حقائق التاريخ ، متجاهلين جميع الظروف والملابسات والأحداث القاسية التي كانت تعصف بالأمة الإسلامية آنذاك ، تاركين الروايات الصحيحة ومتبنين النصوص التي تقوم على تشويه الحقائق بالصورة التي أرادها أعداء أهل البيت (عليهم السلام) .

ومن خلال التمعن في نص هذا المستشرق سنجد أن أكثر هذه الطعون والأخبار والروايات ليس لها أصل ووجود حتى في النصوص الأموية الطاعنة والكاذبة المعروفة والتي تشوب كتبهم ومؤلفاتهم ، فمتى كان أهل العراق ساخطين على الحسن (عليه السلام) ؟

وأين جاء اعتراضهم على شرط الأموال وتسلمه المال من معاوية ؟

ولو كان هذا الشرط له وجود فعلاً لقرأنا اعتراض لأصحابه المقربين !

(١) آل قطيط ، سلوا الحسن عن صلحه : ١٦٣ ، نقلاً عن كتاب فاطمة وبنات محمد للامنس .

فما وجدنا أن أحداً من أصحابه المعترضين على صلحه قد عرض وسأله بخصوص هذا الشرط المفتعل ، وهم من غير بني هاشم ، فكان يتوجب عليهم الاعتراض لمطالبة الحسن (عليه السلام) بأنه كيف يكون عطاء بني هاشم أكثر من عطاء سواهم !

وأوردنا اعتراض أصحابه ورأينا على أي حال اعتراضوا وبأي شيء أقنعهم الإمام الحسن (عليه السلام) ورد عليهم فندموا .

وأرى أن افتراءهم هذا على أهل العراق يخالف ما تشهد به الأخبار في الجمل وصفين والنهروان في ولاتهم لأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) وما قاله عبد الله ابن الزبير لمعاوية : لأهل العراق أبر وأرأف به . أي بالإمام الحسن . من أم الحوار بحوارها ^١ .

ويشهد لذلك قول الحسن (عليه السلام) حين خرج من الكوفة إلى المدينة إذ تمثل بقول الشاعر :

وما عن قلى فارقت دار معاشري

هم المانعون حوزتي وذماري

ويشهد له أيضاً قول معاوية للزرقاء بنت عدي وهو يحاورها : والله لوفأؤكم له بعد موته . أي لعلي عليه السلام . أعجب من حبكم له في حياته ^(٢) .

أما الروايات التي تنص على أنه اشترط لنفسه ما في بيت مال المسلمين في الكوفة ومائتي ألف درهم في كل عام بالإضافة إلى خراج بعض المقاطعات في الأهواز ، وتقضيل الهاشميين على بني عبد شمس وغيرهم في العطاء ، فهذه الروايات بالإضافة إلى ضعف أسانيدھا فهي من موضوعات الأمويين والعباسيين الذين وضعوا حوله عشرات الأحاديث والأخبار المكذوبة ؛ ليضعوا في الأذهان أن الحسن (عليه السلام) قد باع الخلافة بالأموال ، وكان منصرفاً إلى الملذات والشهوات عن عظام الأمور ، كما قالها المنصور الدوانيقي في محاولة منه لانتقاص بعض الحسينيين الذين كانوا لا يتحملون الضيم ويثورون بين الحين والآخر على الظلم والطغيان في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي .

ولو صح أنه اشترط لنفسه ما في بيت مال الكوفة فذاك لينفذه من أيدي الطغاة وينفقه على أيتام المسلمين وفقرائهم في الكوفة وغيرها كما كان ينفق أكثر أمواله في هذا السبيل ، وقد صح عنه أنه

(١) الأغاني : ١٧٣ / ٩ . والحوار : ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يفطم ويفصل .

(٢) البديري ، صلح الإمام الحسن (ع) : ٣٧ نقلاً عن أخبار الوافدات من النساء : ٦٣ ؛ العقد الفريد : ١ / ٢٢٠ .

قاسم الفقراء أمواله ثلاث مرات وخرج منها بكاملها مرتين ، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى أنه كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا ، ويعطي خفًا ويمسك خفًا (١) .

ومن وصية لجنادة بن أبي أمية قال الحسن (عليه السلام) : " واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك ، واعلم أن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب ، أنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك ، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر ، فأخذت كما أخذت من الميتة ، وإن كان العتاب فالعتاب يسير " (٢) .

ث . أخبار في رد تلك الافتراءات الباطلة :

لو أن رجلاً غير الحسن (عليه السلام) ومن غير بني هاشم كريم سخي سمعنا به أنه تسلم الأموال من بني أمية ومعاوية لاستبعدنا الخير وما قبلناه ، ولا يختلف اثنان في سخاء وغنى وثرء بني هاشم وعبد المطلب وبين شح وإمساك بني أمية .

تتازع رجلان ، هاشمي وأموي قال هذا : قومي اسمح ، وقال هذا : قومي اسمح ، قال : فسل أنت عشرة من قومك ، وأنا أسأل عشرة من قومي ، فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة ، فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي ، فأمر له بمائة وخمسين الف درهم ، ثم أتى الحسين (عليه السلام) فقال : " هل بدأت بأحد قبلي ؟ " ، قال : بدأت بالحسن ، قال : " ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً " فأعطاه مائة وخمسين الفاً من الدراهم ، فجاء صاحب بني أمية يحمل مائة الف درهم من عشر أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة الف درهم من نفسين ، فغضب صاحب بني أمية ، فردها عليهم ، فقبلوها ، وجاء صاحب بني هاشم فردها عليهما ، فأبيا ان يقبلاها ، وقالوا : " ما كنا نبالي ، أخذتها أم ألقيتها في الطريق " (٣) .

ومن خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه قد تكشف زيف الرواية الطاعنة ، ولنتذكر دائماً أن الإمام الحسن (عليه السلام) هو ذلك الإمام الروحي الذي لا يريد الحياة بين الناس إلا

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ٣٧/٢ ؛ سنن البيهقي : ٣١٣ / ٤ .

(٢) بحار الأنوار : ١٣٨ / ٤٤ .

(٣) آل ياسين ، صلح الحسن (ع) : ٣٠ .

بمقدار ما تكون الحياة بذلة في سبيل الله ووسيلة للنفع العام ومثلاً يحتذى به في الإصلاح والعدل والإحسان ، فما قيمة ما يوضع ويؤول كذباً وبهتاناً في حقه ، وما يقول الناس جنب هذه المعنويات المسخرة لله تعالى ، فتلك الصفة الروحية تقود الغير إلى الخير ، وليس لها هاجس أبداً بغير هذا التفكير أسوة بجده وأبيه (صلوات الله عليهم) .

وكذلك من خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) لذلك الهاشمي أنه لا يستطيع أن يزيد شيئاً على ما أعطاه سيده الحسن ، تكشف زيف الروايات الأخرى التي تروج للخلاف بين الحسن والحسين عليهما السلام ، وأن الحسين (عليه السلام) كان غير راضٍ لما اتخذه الحسن (عليه السلام) وكارهاً لذلك .

وفي كثير من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) يُصرح فيها بجور وضلال معاوية وكفره واسرافه لأموال المسلمين ^(١)، فكيف يصلح أن نفترض مثل هذا الشرط الذي يُسبب الطعن فيه من بعده وكيف يرتضيه على نفسه وقد كان قد رفضه أصلاً على ما جاء في رواية ابن أعثم وغيره .

واعجب كيف تصدق العقول وتوفق بين خبر صحيح وهو أنه (عليه السلام) يعلن فجور وكفر معاوية ولا يأمن غائلته وبين أن تتوهم في أنه يطلب دنيا من هذا الفاجر الضال ، قال الشيخ المفيد :

ولما استقر الصلح بين الحسن صلوات الله عليه وبين معاوية على ما ذكرناه ، خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاظماً غيظه ، لازماً منزله ، منتظراً لأمر ربه جل إسمه ، إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد ، ففسد إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس - وكانت زوجة الحسن عليه السلام - من حملها على سمه ^(٢).

وكيف رووا وجعلوا ووضعوا بأن سبط النبي يتلقى الهدايا والعطايا أسوة بمن عزلهم عمر وشتهم وأدمى رؤوسهم لثرائهم وتميزهم عن باقي المسلمين بعد أن شاطرهم أموالهم متغاضياً عن معاوية ، ففي حديث أبي هريرة : لما عزلني عمر عن البحرين ، قال لي : يا عدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ، فقلت : ما أنا عدو الله وعدو كتابه ، ولكني عدو من عاداك ، وما سرقت

(١) الطبرسي ، الاحتجاج : ٤٢٠/١ .

(٢) الارشاد : ١٥/٢ .

مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف ؟ فقلت : خيل تناجت ، وعطايا تلاحت ، وسهام تتابعت ، قال : فقبضها مني (١) .

وفيهم من قال : بايعه الإمام الحسن (عليه السلام) وأعطاه معاوية كل ما ابتغى حتى قيل : إنه أعطاه عيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام ؟ (٢) .

ومنهم من روى : ولما قدم الحسن بن علي (عليهما السلام) على معاوية فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ، ولا أجزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمئة ألف درهم ، فأخذها (٣) .

ولو عقلوا أو فهموا هؤلاء ممن مرّوا على هذه الأحاديث المشوشة المكذوبة على سيد شباب الجنة لكانوا قد صدّقوها في غير سبط رسول الله صلوات الله عليهما العازف عن الدنيا وابن من طلق الدنيا ثلاثاً ! ألم يقرأوا من خطبته البليغة قوله : " ولو كنت بالحزم من أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة ، ولا كان رأيي غير ما رأيتم ولكني أشهد الله وإياكم أنني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم ، وإصلاح ذات بينكم ، فانتقوا الله وارضوا بقضاء الله ، وسلموا لأمر الله ، والزموا بيوتكم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح بر ، أو يستراح من فاجر " (٤) .

ووجدت في تاريخ ابن الأثير أن زوجة أبي بكر اشتهدت حلواً . فقال : ليس لنا ما نشترى به ، فقالت : أنا استفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشترى به ، قال : افعلي ، ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير ، فلما عرفته ذلك ليشترى به حلواً أخذه فرده إلي بيت المال ، وقال : هذا يفضل عن قوتنا ، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغريمه لبيت المال من ملك كان له (٥) .

أما كان للإمام الحسن (عليه السلام) حظ في مثل هذه الروايات وهذا الزهد بخصوص بيت مال المسلمين ، وما جعلوه يقبض من الإمام الجائر آلاف الدراهم ومفضلاً لنفسه ولأخيه ولبني هاشم عن سائر المسلمين في العطاء ؟ .

(١) راضي آل ياسين ، صلح الحسن (ع) : ٩ ، نقلاً عن الإصابة لابن حجر في ترجمة الحارث بن وهب .

(٢) أنساب الأشراف : ٥٠/٣ .

(٣) إحياء علوم الدين : ١٠٣/٤ ؛ الإصابة : ٦٤/٢ .

(٤) الإمامة والسياسة : ١٤١/١ .

(٥) الكامل في التاريخ : ٤٢٣/٢ .

ونجد في الروايات صلح آخر نظير صلح الإمام الحسن (عليه السلام) بين معاوية وقيس بن سعد ، إلا أن قيس كان أكثر حرصاً على صالح المسلمين من الإمام الحسن (عليه السلام) ، فهو لم يوافق على زيادة عطاءه ، ولم يطلب لنفسه مالاً ، وهو بذلك يكون أكثر زهداً من الإمام الحسن (عليه السلام) ! (١) .

أما فكروا في غير روايتهم هذه اليائسة ، ولو وجدوا غير قيس المجاهد الذي أزعج معاوية كثيراً لكان اختلج في خاطرنا شيئاً من الثقة في هذه الحكاية ، فما وجدناه في موقف قيس من الأخبار لا يشك أحد فيها مع سيرة قيس التي هي خلاف ذلك ، فمما رواه ابن أعثم يوافق العقل والمنطق وسيرة قيس في نصرته أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام) وفي قتال معاوية ، قال : أشار الحسن (عليه السلام) لقيس أن يبايع في سبيل حقن دمه ، ثم أرسل إلى قيس فدعاه إلى البيعة ، فأبى أن يبايع ، فدعاه الحسن وأمره أن يبايع معاوية ، فقال له قيس : يا بن رسول الله إن لك في عنقي بيعة ، وإني والله لا أخضعها أبداً حتى تكون أنت الذي تخلعها .

فقال له الحسن (عليه السلام) : " فأنت في حل وسعة من بيعتي ، فبايع فأني قد بايعت " ، فعندها بايع قيس لمعاوية .

فقال له معاوية : يا قيس إني قد كنت أكره أن تجتمع الناس إلي وأنت حي .

فقال قيس : وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن يصير هذا الأمر إليك وأنا حي (٢) .

والحسين (عليه السلام) يخاطب الناس خلاف ما افتروه في هذا الشرط من شروط الصلح ، والخطاب لرجل كوفي يكنى بأبي هرة الأزدي ، فقد روى السيد ابن طاووس في اللهوف أنه أتى الحسين (عليه السلام) وهو في طريقه إلى كربلاء قائلاً : يا بن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرمة جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال الحسين (عليه السلام) : " ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشتماوا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت ، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسنيهم الله ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً ، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أدل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم (٣) .

(١) تاريخ الطبري : ١٦٠/٥ .

(٢) الفتوح : ٢٨٨/٤ .

(٣) ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف : ٢٨ .

وهما لم يستلما فدك وهي من حقهما حتى يستلما الفتات من المال من ضال باغٍ ، فمما رواه ابن الأثير في قضية فدك : لما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان ابنه عبد الملك ، وعبد العزيز ، تم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان ، فلما ولي الوليد الخلافة وَهَبَ نصيبه عمر بن عبد العزيز ، ثم لما ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر فدك وأنه قد رَدَّها إلى ما كانت عليه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي (عليه السلام) ، فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أخذت منهم (١) .

ولا نتفق مع ما قاله ابن الأثير في أن فدك كانت عند أولاد فاطمة في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وحتى في خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه لم يردّها والشواهد والروايات كثيرة في ذلك (٢) ، لكننا ذكرنا قول ابن الأثير هذا بشأن فدك لأننا أخذنا موضع الحاجة منه في تفسير خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) .

فلم يسترد أمير المؤمنين (عليه السلام) فدكاً وقد انضمت إلى الأموال العامة في بيت المال ، وأنه (عليه السلام) لم يمض حكم أبي بكر في فدك ولم يقره بل فوّض الأمر والقضية إلى الله عز وجل (٣) .

وفي كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) لعثمان بن حنيف قال : فوالله ما كنت من دنياكم تبراً ولا إدخرت من غنائمها وفرأ ، ولا حزت من أرضها شبراً ، بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلت السماء ، فشخت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله (٤) .

(١) الكامل في التاريخ : ٢٢٥/٢ .

(٢) راجع كتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد علي بن طاووس : ١/ ٣٦٣-٣٦٤ .

(٣) ما ذكره ابن بابويه في أوائل كتاب العلل في باب العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين "ع" فدك ولي الناس بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام يعني جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال : قلت له لم لم يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما ولي الناس ولأي علة تركها ؟ فقال : لأن الظالم والمظلومة قد كانا قدما على الله عز وجل ، وأثاب الله المظلومة وعاقب الظالم ، فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوبة . (الطرائف : ٣٦٣/١) .

(٤) الشيرازي ، ليالي بيشاور : ٤١١ ، نقلاً عن نهج البلاغة .

ووجدت في رواية أن علي بن الحسين (عليهما السلام) رفض المال الذي وهبه له يزيد الفاسق عوضاً عما أخذ من سبايا أهل البيت (عليهم السلام) ، قال يزيد عليه لعائن الله للإمام زين العابدين (عليه السلام) أذكر ما حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن ، فقال له : " الأولى أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين (عليه السلام) فأتزود منه ، والثانية أن ترد علينا ما أخذ منا ، والثالثة إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن (صلى الله عليه وآله) " ، فقال : أما وجه أبيك فلا تراه أبداً ، وأما قتلك فقد عفوت عنك ، وأما النساء فما يردهن غيرك إلى المدينة ، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته ، فقال (عليه السلام) : " أما مالك فلا نريده وهو موفر عليك ، وإنما طلبت ما أخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت بنت محمد (صلوات الله عليهما) ومقنعتها وقلادتها وقيصها " (١) .

وقرأت أيضاً أن غلام ليزيد يوالي الحسين (عليه السلام) - وهو من يوم قتل الحسين يلبس السواد - لا يأكل من مال يزيد شيئاً أبداً ، وهو يعمل الزنابير ويبيعها وينفق على نفسه ويتصدق على الفقراء ، وكان يزيد مشغولاً بحبه ولا يقدر أن يفارقه ولا يغضبه أبداً (٢) .

ومن العجيب أنهم قالوا بأن الحسن والحسين عليهما السلام ، كانا يقبلان جوائز معاوية ولم يذكر أنهما فرقاها على المسلمين الفقراء كما يفعل ابن عمر وعائشة وحتى جابر بن زيد ! (٣)

قال الغزالي قال ابن المبارك ، إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ، ما يقتدون بهما ، لأن ابن عمر فرق ما أخذ ، حتى استقرض في مجلسه ، بعد تفرقة ستين ألفاً ، وعائشة فعلت مثل ذلك ، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به ، وقال رأيت أن أخذه منهم وأتصدق أحب إليّ من أن أدعها في أيديهم ، وهكذا فعل الشافعي بما قبله من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب ، حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة (٤) .

ويستدلون بأخذ الحسن (عليه السلام) العطايا والهدايا من الظالم كمخرج يتذرعون به في تجويز وتنزيه الأخذ من معاوية وغيره من الفاسقين في عصره وما تلاه من العصور .

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٥ .

(٣) إحياء علوم الدين : ١٥٩/٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦/٥ .

قال الغزالي : وإنما منعنا إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات ، تحققت أن إدارات الظلمة في زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها تفارقه من وجهين قاطعين :

أن الظلمة في العصر الأول ، لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين ، كانوا مستشعرين من ظلمهم ، ومنتشوقين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين ، وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم ، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال ، بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به . ففي أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم ، وخدمة عمالهم ، واحتمال الذل منهم ، والثناء عليهم ، والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبت في الباب الذي يلي هذا ، فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم ، وما يحل منها وما لا يحل ، يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال فقد أخذ الحسن (عليه السلام) من معاوية في دفعة واحدة أربعمئة ألف درهم (١) ، فينزه معاوية ويحلل عطيته (٢).

وكان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، بعد الخلفاء الراشدين ، ولم يكن أكثر مالهم حراما ، ويدل عليه تعليل علي (عليه السلام) ، حيث قال : "فإن ما يأخذه من الحلال أكثر " . فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء ، تعويلا على الأكثر . ونحن إنما توقفنا فيه في حق آحاد الناس . ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام ، اعتماداً على الأغلب (٣).

قال : وعن الزبير بن عدى أنه قال ، قال سلمان ، إذا كان لك صديق عامل أو تاجر ، يقارف الربا ، فدعاك إلى طعام أو نحوه ، أو أعطاك شيئاً فاقبل ، فإن المهناً لك ، وعليه الوزر ، اعترافاً منه أن معاوية من السلاطين الظلمة وجواز أخذ الأموال منهم لأنه يدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما يعطيه فهو من طيب ماله (٤) .

أما كان الحسن والحسين (عليهما السلام) أسوة بأولئك الذين امتنعوا عن أخذ مال الظالم ولو كانا قد أخذوا من الطيب الذي يدخل في بيت المال ، وهما يقيناً أفضل منهم جميعاً بنص القرآن والسنة وأعرف بالشرع والحلال والحرام من سائر المسلمين ولا يقارن بهما أحد .

(١) المصدر السابق : ١٠٨ / ٥ .

(٢) إحياء علوم الدين : ١٠٣ / ٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

وذكروا بأن امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم ، بل على الورع ، كالخلفاء الراشدين وأبي ذر رضوان الله عليه وغيرهم من الزهاد ، فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ، فامتناع أولئك لا يدل على التحريم ، وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا (١) .

فما معنى قول الإمام الحسن (عليه السلام) الذي ذكره الغزالي : لا أتوضأ من ماء صيرفي ولو ضاق وقت الصلاة ، لأني لا أدري أصل ماله (٢) .

أما كان سيد شباب أهل الجنة ورعاً ليمتنع عن أخذ ذلك الفحش من المال وهو ليس عطاءه ليكون أدنى بمرتبة من الخلفاء الراشدين وقد عدوه من الخلفاء الراشدين ، او يكون أدنى مرتبة بالورع والزهد من سعيد بن المسيب أولئك الذين عملوا بآيات القرآن وسنة رسولهم خلاف ما عمل سبط رسول الله (صلوات الله عليهما) إن هذا من أعجب الامور ! ، فكان من الأجدر بهم وبعض كتابنا - الذين كتبوا في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) وصلحه - أن يتوقفوا عند هذه الفقرة وهذا الشرط الذي يسيئ إلى وصي النبي صلى الله عليه وآله .

ومما قالوه في كتبهم : إن للورع في حق السلاطين أربع درجات ، الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم ، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون ، حتى أن أبا بكر حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ، فغرّمها لبيت المال ، وحتى أن عمر كان يقسم مال بيت المال يوماً فدخلت ابنة له وأخذت درهماً من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ، ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر إصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج ، وقال : أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريتهم وبعيدهم ، وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال ، فوجد درهماً فمرّ بنيّ لعمر فأعطاه إياه ، فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه ، فقال أعطانيه أبو موسى ، فقال يا أبا موسى : ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر ؟ أردت أن لا يبقى من أمة محمد (صلى الله عليه وآله) أحد إلا طلبنا بمظلمة ! ورد الدرهم إلى بيت المال ، هذا مع أن المال كان حلالاً ، ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر ، فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالاً لقوله (صلى الله عليه وآله) " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "

(١) المصدر السابق نفسه : ١٠٤ / ٥ .

(٢) المصدر نفسه .

، ولقوله " ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه " ، ولما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التشديدات في الأموال السلطانية (١) .

أوما جعلوا الحسن (عليه السلام) أسوة بعبد الله بن عمر في الورع ، فإنه كان من المبالغين في الورع بقول الغزالي ، وما توسّع في مال السلطان ! وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم ، وأشدهم ذمّاً لأموالهم ، وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته ، وكونه مأخوذاً عند الله تعالى بها فقالوا له إنا لنرجو لك الخير ، حفرت الآبار ، وسقيت الحاج ، وصنعت وصنعت ، وابن عمر ساكت ، فقال ماذا تقول يا ابن عمر ؟ فقال أقول ذلك إذا طاب المكسب ، وزكت النفقة ، وسترد فترى (٢) .

وفي حديث آخر أنه قال : إن الخبيث لا يكفر الخبيث ، وإنك قد وليت البصرة ، ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شراً ، فقال له ابن عامر : ألا تدعو لي ؟ فقال ابن عمر : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول " لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول " وقد وليت البصرة ، فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات (٣) .

أما جبّ الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه عن لذات الدنيا ومالها الزائل حتى حلاله ! فكيف تقبل عقولكم ما وضعوه أعداءه بأنه جرّ إلى نفسه من مال عليه ظالم باغٍ كافر ما عرف الإيمان ملعون في القرآن وعلى لسان النبي (صلى الله عليه وآله) ؟ ، قال ابن حجر : كان معاوية يجري عليه في كل سنة ألف ألف درهم وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين (٤) .

وقد أشار الشيخ القرشي في إلتفاتة لطيفة حول تلك الأموال التي كانت في بيت المال قائلاً :

إننا نشك أن خزانة الدولة احتوت على أموال كثيرة ، لأن سياسة أهل البيت عليهم السلام تقضي بصرف المال فوراً على ما خصّصه الإسلام له (٥) .

(١) إحياء علوم الدين : ١٠٤ / ٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ / ٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر: الإصابة : ٦٥ / ٢ .

(٥) الحسن بن علي ع : ٢٣٤ / ١١ .

ج . الروايات التي لم يرد فيها شرط الأموال :

في مقابل الروايات الموضوعية التي شوهت سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) عند عوام الناس هناك روايات صحيحة عزّفت بعظيم شخصيته وكريم صفاته ، وما يهمنا ذكره في هذا المبحث الروايات الصحيحة التي لم يرد فيها شرط تسلّم الإمام الحسن (عليه السلام) الأموال من معاوية كبند من بنود الصلح .

روى صاحب البحار عن كشف الغمة قال : ومن كلامه عليه السلام ما كتبه في كتاب الصلح الذي استقر بينه وبين معاوية حيث رأى حقن الدماء وإطفاء الفتنة ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان : صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء ، وبما أعطى الله من نفسه ، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق (١) .

وما أورده ابن الصباغ المالكي : هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله ، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا ، على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه ، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) غائلة سواء سرا وجهرا ، ولا يخيف أحدا في أفق من الآفاق . شهد عليه بذلك فلان وفلان ، وكفى بالله شهيدا (٢) .

(١) بحار الأنوار : ٦٥ / ٤٤ .

(٢) الفصول المهمة : ١٦٣ .

وقال السمعاني : وكتب معاوية كتابا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية ابن أبي سفيان .

إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي ولك عهد الله وميثاقه ودمته ودمته رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) وأشد ما أخذ الله على أحد من خلفه من عهد وعقد أن لا أبغيك غائلة ولا مكروها ، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال ، وعلى أن لك خراج فسا و درابجرد تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك .

شهد عبد الله بن عامر ، وعمرو بن سلمة الهمداني ، وعبد الرحمان ابن سمرة ، ومحمد بن الأشعث الكندي ، وكتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين (١) .

فلما قرأ الحسن الكتاب قال : " يطمعني في أمر لو أردته لم أسلمه إليه " ، ثم بعث الحسن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب - وأمّه هند بنت أبي سفيان - فقال له : " أنت خالك فقل له : إن آمنت بالناس بايعتك " .

فدفع معاوية إليه صحيفة بيضاء وقد ختم في أسفلها وقال له : اكتب فيها ما شئت . فكتب الحسن :

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية ابن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم ، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي غائلة سرا ولا علانية ، وعلى أن لا يخيف أحدا من أصحابه " .

شهد عبد الله بن الحرث ، وعمرو بن سلمة .

وردهما إلى معاوية ليشهد بما في الكتاب ويشهدا عليه (٢) .

(١) انساب الأشراف : ٥١/٣ .
(٢) المصدر نفسه .

وفي رواية : فأعطى معاوية حسنا ما أراد في صحيفة بعث بها إليه مختومة ، اشترط الحسن فيها شروطا ، فلما بايع معاوية لم يعطه مما كتب شيئا ، فانصرف الحسن إلى المدينة ومعاوية إلى الشام (١) .

ومما رواه الشيخ المفيد :

كتب إليه معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطا كثيرة وعقد له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة ، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله ، غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة ، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له ، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه ، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة .

فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه ، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين ، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلوات ، وأن يؤمن بشيعته رضي الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه . فأجابته معاوية إلى ذلك كله ، وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به .

فلما استتمت الهدنة على ذلك ، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة ، وكان ذلك يوم جمعة فصلى بالناس ضحى النهار ، فخطبهم وقال في خطبته : إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون . ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء ، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشئ منها له (٢) .

وفي رواية ابن أعثم الكوفي أيضاً لم نجد أثراً لهذا البند ، قال ابن أعثم : ثم دعا الحسن بن علي بعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن أخت معاوية ، فقال له

(١) المصدر نفسه .

(٢) الإرشاد : ١٤/٢ .

: " صر إلى معاوية فقل له عني : إنك إن أمنت الناس على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم بايعتك ، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك " .

قال : فقدم عبد الله بن نوفل بن الحارث على معاوية ، فخبره بمقالة الحسن ، فقال له معاوية : سل ما أحببت ! فقال له : أمرني أن أشترط عليك شروطا ، فقال معاوية : وما هذه الشروط ؟ فقال : إنه مُسلمٌ إليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك ، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال ، وله خراج دارابجرد من أرض فارس ، والناس كلهم آمنون بعضهم من بعض . فقال معاوية : قد فعلت ذلك .

قال : فدعا معاوية بصحيفة بيضاء ، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه ، ثم قال : خذ هذه الصحيفة فانطلق بها إلى الحسن بن علي ، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحب ويشهد أصحابه على ذلك ، وهذا خاتمي بإقراري .

قال : فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة وأقبل إلى الحسن ومعه نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام . قال : فدخلوا فسلموا على الحسن ، ثم قالوا : أبا محمد !

إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أحببت ، فاكتب الذي تحب . فقال الحسن : أما ولاية الأمر من بعده ، فما أنا بالراغب في ذلك ، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه ، وأما المال فليس لمعاوية أن يشترط لي في المسلمين ، ولكن أكتب غير هذا وهذا كتاب الصلح .

قال : ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب : " هذا ما اصطاح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على :

أولا : أن يسلم إليه ولاية أمير المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين .

ثانيا : ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين .

ثالثا : وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم .

رابعاً : وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه .

خامساً : وعلى أنه لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرا وعلانية ، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق .
شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان (١) .

(١) الفتوح : ٤ / ٢٨٨ .

المبحث الثاني

١ . الروايات الطاعنة والتعقيب على روايتها :

كانت قضية الإمام الحسن من تلك القضايا التي لعبت الأهواء في التحدث عنها وضعاً ورفعاً ، وهذا التلاعب المقصود اختلفت عليه الإفهام ، فمن يكتب في قضية الحسن (عليه السلام) يجب أن يعلم مكانته في الأمة بأنه أحد منظومة الإمامة الهادية بعد النبي (صلى الله عليه وآله) مهمتها المحافظة على الشريعة وهداية الناس ، وأنه أحد السبطين في العالم الإسلامي كله .

أما من يفهم شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) بلغة المستشرقين المأخوذة من العرب الأموية والعباسية وأذئابها فهو فهم قائم على السطحية الساذجة وأكاذيب الأقلام المأجورة ، فمروا على هذه الأفاقيص المصطنعة كحقيقة واقعة فوقوا في الخلط والتخبط في فرية وضیعة لا ترقى بمروءة الرجل المسلم فيما يكتبه عن سبط من أسباط نبيه العظيم (صلى الله عليه وآله) فإدعوا أنه باع الخلافة بالمال ! .

ولا حاجة لذكر جميع الشهادات والتصريحات على شيوع الوضع وكثرة الوضاعين في العصر الأموي ، فمنها تصريحات المدائني وابن أبي الحديد والعلامة الأميني في كتابه الغدير وبحثه عن الوضاعين الكذابين في رواة الحديث والتاريخ (١) .

ويروي الطبري عن الزهري أن الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية يسأله الأمان لنفسه ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب فشرط ذلك له معاوية (٢) .

وهذه الروايات عن الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ (٣) ، وهو معروف بمكانته عند الأمويين ، ولعل أبلغ ما كُتب عن الزهري ومنهجه هي تلك الرسالة العظيمة التي أرسلها له الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) حيث خاطبه قائلاً : " كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار ، فلقد أصبت بحال ينبغي على الذي عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصح من بدئك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من دينه ، وعرفك من سنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ، فرضي لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي

(١) انظر شرح النهج : ١٦/٣ ؛ وانظر كتاب الغدير : ١٨٥/٥-٣٢٩ .

(٢) تاريخ الطبري : ١٢٥/٤ .

(٣) الأنساب : ١٨٠/٣ .

كل حجة احتج بها عليك ، فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك نعمة عليك كيف رعيته " (١) .

وقوله (عليه السلام) للزهري : " إعلم إن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنت وحشة الظالم وسهلت له طريقة الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت " (٢) .

نقل الغزالي في الإحياء عن محمد بن سلمة قوله : الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء ، ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله ، لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى * (لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (٣) واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت ، أنك آنت وحشة الظالم ، وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحي ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم ، وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم . ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويققادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك . فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم * (فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) ، وأنت تعامل من لا يجهل ، ويحفظ عليك من لا يغفل ، ودينك فقد دخله سقم ، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد * (وما يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) والسلام . فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد (٤) .

وروا عن المنصور العباسي لما أخذ عبد الله بن الحسن المثنى وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته (٥) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال : يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو

(١) تحف العقول : ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٥ .

(٣) آل عمران : ١٨٧ .

(٤) إحياء علوم الدين : ١١٤/٥ .

(٥) بعد أن أعلن العباسيون دولتهم حتى امتنع محمد بن عبد الله النفس الزكية عن بيعه أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، فخشي المنصور عاقبة هذا الأمر وعمل جاهداً على تغييره .

خير منا وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطح وحكم عليه الحكيمين فافتقرت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ثم قام من بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الأموال فقبلها ففسد إليه معاوية إني أجعلك ولي عهدي من بعدي فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غد فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه . (١)

ونجد نصاً للعباسيين يطلبون من المأمون طلباً عندما أراد تزويج الإمام الجواد ابنته أم الفضل ، قالوا له : : ننشذك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمته عليه من تزويج ابن الرضا ، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله ، وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فאלله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا (٢) .

فهل يُستبعد الحال أن يملي بنو العباس على كُتّاب السلطة في أن يُظهروا مثل هذه الأخبار الموضوعية ومنها أن الإمام الحسن (عليه السلام) باع الخلافة لأنه لا يقدر معناها كما يقدره بنو العباس .

وحاول العباسيون أن ينتقوا من بين تراث الأمويين الإجرامي أي ثغرة لترجمة تسلطهم اللامشروع إلى حق مطلق في الخلافة ، فكانت قضية صلح الإمام الحسن (عليه السلام) التي حاول بنو أمية وكتّابهم تصحيفها لتغطية انحرافهم ، وكان لا بد للدولة العباسية من أن تُسخر كل طاقاتها الإعلامية والأخبار والروايات التاريخية المحرّفة التي مرت بدون أن تخضع لمنهج علمي دقيق يكشف زيف تلك الروايات ويظهر الوجه الحقيقي لما قامت عليه هذه القضية التاريخية المهمة .

(١) تاريخ الطبري : ٣٣٤/٦ ؛ مروج الذهب : ٣٠٠/٣ .
(٢) الإرشاد : ٢٢٢ ؛ الشبلنجي : نور الأبصار : ١٧٨ .

٢ . اختلاف وتضارب الأخبار والروايات :

لا نجد قضية من القضايا فيها تضارب في استعراض الحقائق التاريخية مثلما نجد في قضية الإمام الحسن (عليه السلام) على ما فيها من نقص واختزال واختلاف وزيادة في العرض والتعبير ، سواء في أسباب طلب الصلح كفتن الشام في المعسكرين مسكن والمدائن ، أو تفرق الناس عنه بعد إصابته ، أو نكول الناس عن القتال وجوابهم على خطبته بـ " البقية البقية " ، أو فرار قائده الذي اختلفوا في تسميته فيسميه أحدهم عبد الله بن العباس ، ويسميه الثاني عبيد الله بن العباس . أو من هو الذي طلب الصلح الحسن (عليه السلام) أو معاوية .

والمؤرخون والكتّاب لا يبدون رأياً إزاء ذلك ويمر استعراضهم التاريخي لتلك الروايات دون النقد بالرغم من وجود روايات معارضة ومنطقية يقبلها العقل ولا تتعرض بشيء للإمام المعصوم ، فمن تلك الروايات الطاعنة عدم توافق الحسن والحسين (عليهما السلام) ووحدة رأيهما في قضية الصلح وأن الحسين قال للحسن : " والله لو اجتمع الخلق طراً على أن لا يكون الذي كان ما استطاعوا ، ولقد كنت كارهاً لهذا الأمر ولكني لم أحب أن أغضبك إذ كنت أخي وشقيقي ! " (١)

فمن الناحية العقلية لا نصدق هذه الرواية وهذا القول من الحسين لإمامه الحسن عليهما السلام ، فهما من منظومة الإمامة الهادية المعصومة اللذان ألزما الله تعالى بطاعتها والتسليم لأوامرهما ، فكيف لا يلتزم سيد شباب أهل الجنة بأوامر أخيه وسيده ، وإن كان ذلك صحيحاً فيتعارض مع حديث جدهما (صلى الله عليه وآله) : " هذان إمامان إن قاما وإن قعدا " وهذا التعارض محال .

إننا نعتقد أن كل قول وفعل منهما لا يتنافى مع العقل ولا يناقض بعضهما بعضاً ، ورأي الحسين ثابت في طاعة أخيه ، فمما رواه ابن قتيبة : خرج سليمان بن صرد من عنده - أي من الحسن - فدخل على الحسين ، وعرض عليه ما عرض ، وأخبره بما رد عليه الحسن ، فقال الحسين (عليه السلام) : " فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ، ما دام معاوية حياً ، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً ، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم (٢) .

(١) الفتوح : ٢٩٤ / ٤ .

(٢) الإمامة والسياسة : ١٤٢ / ١ .

وكيف نصدق هذا القول وهذه العبارة التي تنص على كراهية الحسين لصلح الحسن وهو (عليه السلام) يدعو أنصار الحسن (عليه السلام) الذين لجأوا إليه إلى المسالمة والعودة ما دام معاوية حياً .

ومما قاله الحسين للحسن (عليهما السلام) برواياتهم وفيها تناقض أيضاً ، فيها تأكيد الحسين (عليه السلام) أن هذا الصلح لو اجتمع الخلق على أن لا يكون لما استطاعوا ، وفيها أيضاً كراهية الإمام الحسين (عليه السلام) لذلك لكنه لا يريد اغضاب وازعاج أخيه الحسن (عليه السلام) ، إنه عليه السلام يستحضر قول جده صلى الله عليه وآله في بني أمية كما يستحضره ويستذكره إمامه الحسن عليهما السلام ، وأنهم كالقردة ينزون منبره ، أو يتذكر القرآن الذي نزل بهم وأحاديث جده بلغنهم ، وحديث "الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا" ، معاذ الله من كراهية الإمام الحسين (عليه السلام) لذلك الأمر ولكل فعل وقول من أخيه وأن لا يطيعه ، ونص الرواية :

فبينما الحسن يكلم حجر بن عدي إذا برجل من أصحابه قد دخل عليه يقال له سفيان بن الليل البهمي فقال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فلقد جئت بأمر عظيم ، هلا قاتلت حتى تموت ونموت معك ! فقال له الحسن : " يا هذا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية ، فنظر إليهم يصعدون منبره واحدا بعد واحد ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا فقال : (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يقول : إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية " .

قال : فالتفت الحسين إلى أخيه الحسن فقال : والله لو اجتمع الخلق طراً على أن لا يكون الذي كان إذا ما استطاعوا ، ولقد كنت كارها لهذا الأمر ولكني لم أحب أن أغضبك ، إذ كنت أخي وشقيقي (١) .

ولم نسمع أو نقرأ أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد أجاب حمران بن آبان عندما وثب على البصرة وأخذها بعد أن بلغهم صلح الحسن (عليه السلام) وكان ابن آبان قد دعا الحسين بن علي (عليهما السلام) (٢) .

(١) الفتوح : ٢٩٦ / ٤ .

(٢) الفتوح : ٢٩٦ / ٤ .

وهل نحتاج إلى أكثر مما سنأتي به من خبر على لسان الحسين (عليه السلام) ينص على أنه واضح لشروط الصلح مع أخيه الحسن (عليه السلام) ، فقد روي اجتماع خلق كثير من الناس مع الحسين بعد استشهاد أخيه الحسن (عليه السلام) وحمل نعشه لحجرة جده (صلى الله عليه وآله) وما حدث من عائشة ومروان وبني أمية من المنع والعدوان فقالوا له : دعنا وآل مروان ، فوالله ما هم عندنا الا كأكلة رأس . فقال : " إن أخي أوصى ان لا أريق فيه محجمة دم ، ولولا عهد الحسن هذا ، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منهم مأخذها . وقد نقضوا العهد بيننا وبينهم ، وأبطلوا ما اشترطنا عليهم لأنفسنا " ، يشير بذلك إلى شروط الصلح (١) .

ومن ذلك - أي وفاء الحسين وطاعته لأخيه الحسن - كان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب ، منذ يوم البيعة ، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحاليين الضالين - أهل الشام - ، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط ، وأرادها على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم ، فأتوا الحسين أخاه ، وقالوا له : ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه ، وعلى حرب الحاليين الضالين أهل الشام . فقال الحسين : " معاذ الله أن أبايكم ما دام الحسن حياً " . فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بداً من بيعته على شرطه (٢) .

وفيما يخص موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من الصلح وردت رواية في تاريخ الطبري بطريقة مشوشة مقطوعة نصها : وكتب الحسن الى معاوية بالصلح وطلب الأمان فقال له الحسين : نشدتك الله أن تصدق احدثة معاوية وتكذب احدثة علي، فقال له الحسن : اسكت فأنا اعلم بالأمر منك (٣) .

فهذه محاولة واضحة لزرع بذرة خلاف فكري بين الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) ، دون الاسترسال في تفاصيل هذا الخلاف ، وكذلك إن المتمعن في سند رواية الطبري هذه فيما يتعلق بموقف الإمام الحسين (عليه السلام) من الصلح يجد بأن الطبري قد أخذ هذه

(١) آل ياسين ، صلح الحسن (ع) : ٣٤ .

ومما دار بين الحسين ع ومعاوية بعد قتله حجر وأصحابه وماذا يصف الحسين (ع) معاوية وأنصاره ، فيبعد أن لقي الحسين بن علي عليهما السلام في مكة ، فقال له - مزهواً - : " هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه شيعة أبيك ؟ " . قال : " وما صنعت بهم ؟ " قال : " قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم ! " فضحك الحسين عليه السلام ، ثم قال : " خصمك القوم يا معاوية ، لكننا لو قتلنا شيعتك ، ما كفناهم ، ولا صلينا عليهم ، ولا قبرناهم . (صلح الحسن (ع) : ٣٤٠ ، عن ابن الأثير والمجلسي في البحار)

(٢) الإمامة والسياسة : ١٥٠ .

(٣) تاريخ الطبري، ٥ / ١٦٠ .

الرواية عن زياد بن عبد الله البكائي ، وهذا الشخص كما ذكر السمعاني : كان فاحشاً كثير الوهم لا يجوز الاحتجاج بخبره (١).

وكان جواب الحسن (عليه السلام) لسليمان على ما نقله ابن قتيبة لا يختلف عن كلام الحسين (عليه السلام) ، فقال الإمام الحسن أيضاً من ضمن ما قال لسليمان : " ليكن كل رجل منكم حلماً من أحلاس بيته ، ما دام معاوية حياً ، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء ، سألنا الله العزيمه على رشدنا ، والمعونة على أمرنا ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (٢).

ورسالة من الحسين (عليه السلام) بعثها لسليمان بن صرد والمسيب بن نجبة تكشف لنا أن الحسين (عليه السلام) كان موافقاً لأخيه في مسالمة ؛ لتعاس أصحابه وقلة الناصر له ، والرسالة توحى أن الحسين (عليه السلام) يشكو حال أخيه من خذلان القوم ونكثهم الوعود والعهود فيقول :

" وقد أنتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتمكم أنكم لا تخذلونني ، فإن وفيتم لي ببيعتمكم فقد استوفيتم حركم وحركم ورشدكم ، ونفسي مع أنفسكم ، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم ، فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ومواثيقكم وخلعتم بيعتكم فلعمرى ما هي منكر بنكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي ، هل المغرور إلا من اغتر بكم ، فإنما حركم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم - والسلام - " . قال : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيداوي وأمره أن يسير إلى الكوفة (٣) .

فبعد الحسن (عليه السلام) حرص الحسين (عليه السلام) على أن ينهج نهج أخيه ويسير على خطاه في استمراره بالالتزام بالعهد والشروط وإن كان من جانب واحد بعد هلاك معاوية ، فكتب لمن كاتبه بذلك : " إني لأرجو أن يكون رأي أخي في المواعدة ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً ، فالصقوا في الأرض وأخفوا الشخص والتمسوا الهدى ، ما دام ابن هند حياً ، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله " (٤) .

(١) الأنساب ، ٣٨٢ / ٥ .

(٢) ابن قتيبة : ١٤٢ .

(٣) الفتوح : ٨٢/٥ .

(٤) آل بحر العلوم ، مقتل الإمام الحسين "عليه السلام" ، ص ٨٢ .

حتى معاوية كان يرى الحسين (عليه السلام) الطرف المباشر بعد أخيه لذلك ذكّره بالصلح بعد توافد أهل الكوفة ووجوه الحجاز عليه فقال في كتاب له : لعمر الله من اعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وإن أحق الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرک ، وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، فإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعزل الناس لذلك ، وعظ نفسك ، فاذا ذكر ، وبعهد الله أوف فإنك متى ما تتكرني أنكرك ، ومتى ما تكديني أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يديك في فتنة ، فقد عرفت الناس وبلوتهم ، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون (١).

ونرى في كتاب الحسين (عليه السلام) الذي أرسله لمعاوية بعد أن طلب منه البيعة إلى يزيد يشير في الكتاب أن عدوله عليه السلام عن محاربة معاوية إنما لصالح الدين ، قال ابن قتيبة :

كتب إليه الحسين (عليه السلام) : " أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور ، لم تكن تظنني بها ، رغبة بي عنها ، وإن الحسنات لا يهدي لها ، ولا يسدد إليها إلا الله تعالى ، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني ، فإنما رقاها الملاقون ، المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاؤون المارقون ، ما أردت حرباً ولا خلافاً ، وإني لأخشى الله في ترك ذلك ، منك ومن حزبك ، القاسطين المحليين ، حزب الظالم ، وأعوان الشيطان الرجيم ، ألسنت قاتل حجر ، وأصحابه العابدين المخبتين ، الذين كانوا يستتظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة ، جرأة على الله واستخفافاً بعهده ، أولست بقاتل عمرو بن الحمق ، الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة ، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال ، أو لست المدعي زيادا في الإسلام ، فزعمت أنه ابن أبي سفيان ، وقد قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثم سلطته على أهل الإسلام ، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ! لكأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك ، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زيادة أنه على دين علي (عليه السلام) ، ودين علي هو دين ابن عمه (صلى الله عليه وآله) ، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف ، فوضعها الله عنكم بنا ، منة عليكم ، وقلت فيما قلت : لا ترد هذه الأمة في فتنة ، وإني لا أعلم لها فتنة

(١) الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٤ .

أعظم من إمارتك عليها ، وقلت فيما قلت : أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، وإنني والله ما أعرف أفضل من جهادك ، فإن أفعل فإنه قرية إلى ربي ، وإن لم أفعله فأسْتَغْفِرُ الله لديني ، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى ، وقلت فيما قلت : متى تكدني أكدك ، فكدني يا معاوية فيما بدا لك ، فلعمري لقد فيما يكاد الصالحون ، وإنني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ، ولا تحقق إلا عمك ، فكدني ما بدا لك ، واتفق الله يا معاوية ، واعلم أن الله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة ، وإمارتك صبيا يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك ، وأهلكت دينك ، وأضعت الرعية والسلام " (١).

الإمام الحسين (عليه السلام) يسترشد الرسالة في إقدامه على ما أقدم عليه أخوه (عليه السلام) ، ففي البحار عن رجال الكشي قال : عن جبرئيل بن أحمد وأبو إسحاق حمدويه ، وإبراهيم بن نصير عن محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي ، عن يونس بن يعقوب ، عن فضيل غلام محمد بن راشد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : " إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فقدموا الشام ، فأذن لهم معاوية ، وأعد لهم الخطباء فقال : يا حسن قم فبايع فقام وبايع ، ثم قال للحسين عليه السلام : قم فبايع ، فقام فبايع ، ثم قال : يا قيس قم فبايع فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره ، فقال : يا قيس إنه إمامي " - يعني الحسن عليه السلام - (٢)

وفي رد الإمام الحسين (عليه السلام) عليه تتكشف حقائق بخلاف ما ورد في كراهيته (عليه السلام) لصلح أخيه فما قال لمعاوية :

" ألسنت القاتل حجرا أذا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة ، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا باجحة تجدها في نفسك ، أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة ، فنحل جسمه ، وصفرت لونه ، بعد ما أمنت وأعطيته من عهد الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل ، ثم قتله جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد ، وقلت فيما قلت : إنني إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني " فكدني ما بدا لك ، فاني أرجو أن لا يضرني كيدك في ، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على نقض

(١) الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٦١ / ٤٤ .

عهدك ، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا " (١) .

ثم نرى رواية ينقلها الشيخ آل ياسين عن البحار ويعدها من المسلّمات بأن الحسين يسأل الحسن ويستعته فساله : " ما الذي دعاك إلى تسليم الأمر ؟ " فقال : " الذي دعا أباك فيما تقدم " (٢) .

ونرى تشويشاً وتضليلاً آخر مفاده استمالة معاوية لقيس بن سعد ، حيث يذكر الطبري أن معاوية بعث إليه يُذكره الله ويقول على طاعة من تُقاتل وقد بايعني الذي اعطيته طاعتك فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل له معاوية بسجل ختم عليه في أسفله فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك (٣) .

ثم يشرع الطبري في سرد أحداث المفاوضات بين معاوية وقيس بن سعد قائلاً : فلما بعث معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعته على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا ، وأعطاه معاوية ما سأل فدخل قيس ومن معه في طاعته (٤) .

وجميع ما قصه الكتاب والمستشرقون من القصص والروايات المكذوبة بسيرة سبط النبي الأكرم هي جميعاً خلاصة ونموذج لكلمات أبي جعفر المنصور والروايات المساندة له بأنه (عليه السلام) كان يميل إلى البذخ لا إلى الحكم والإدارة وانزوى عن الخلافة مكتفياً بهبة سنوية منحه إياها معاوية (٥) .

وما يدعونا إلى احتقار أمثال هؤلاء ومن يأخذ بأكاذيبهم المبتذلة هذه . التي استقوها من الإعلام العباسي المعادي . أنهم استندوا في تكوين رؤيتهم السلبية هذه من غير الاحتكام للعقل ولا للنقل .

(١) المصدر السابق : ٢١٤/٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ١١٣/١٠ . وفي ج ٢١٢/٤٤ .

(٣) تاريخ الطبري : ١٦٤ /٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) فيليب حتي ، العرب : ٧٨ .

ففي وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) أحدهم قال إنه توفي بذات الرئة^(١) ، وآخر قال : لقد باع الحسن (عليه السلام) المنصب الذي تركه محمد (صلى الله عليه وآله) لنسله من أجل المال ، ويقال إنه مات بالسل والهزال^(٢) .

ورأيت في كتاب لأحد علماء مذهب أهل البيت المعاصرين نقداً لتلك الروايات المكذوبة المسيئة ورواتها أمثال ابن سعد في طبقاته وأبي الفرج الأصفهاني في الأغاني ومحمد بن طاهر المقدسي في البدء والتاريخ وغيرها ، وحتى المعاصرين كالمستشرقين ممن ذكرناهم والكتاب العرب الذين لم يدققوا في النقل أو يستندوا للعقل بل جاملوا الظالم كثيراً وتحاملوا على الحق وإمام الحق الذي لو اجتمعت لغات العالم وكتابها جميعاً على أن ينالوا من شخصه الكريم ما ازدادت سيرته إلا زهواً ، ولا نطقت كلمته إلا حقاً وصدقاً^(٣) .

ومجمل القول إن الإمام الحسن (عليه السلام) صاحب الرئاسة العامة الإلهية خلافةً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمور الدين والدنيا ، لذا وجبت على الأمة طاعته ؛ لأنه بموجب عصمته هذه يكون أفضل أهل زمانه في جميع الصفات الحميدة ، فهو الأعلم والأتقى والأشجع والأورع ومعصوم من الخطأ والسهو بفضل الله ولطفه ، وهو الثقل في الإسلام بنص حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فالحسن (عليه السلام) في إمامته هو كالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ولن يضره خلاف الناس عليه ، ولا جموحهم عنه ، ونفرتهم منه ، فكذاك كانت وما زالت إمامة الحسن (عليه السلام) .

(١) البدرى ، صلح الإمام الحسن (ع) : ١٣ ، نقلاً عن كتاب الموسوعة الإسلامية لفرنسك وآخرون .
 (٢) المصدر نفسه . نقلاً هارد كونسلمان ، سطوع نجم الشيعة ، ترجمة : محمد أبو رحمة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٤ / ١٩٩٣ ،
 (٣) للإطلاع على نقد روايات المستشرقين راجع : صلح الإمام الحسن للسيد سامي البدرى : ١٢ - ١٩ .

٣ . روايات أخرى طاعنة ومسيئة

أ . دوافع وأسباب وجود هذه الروايات المسيئة

استند المستشرقون وغيرهم من الكتّاب العرب على تكوين الرؤية السلبية عن الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى روايات أوردتها مصادر تاريخية كُتبت وفقاً للمزاج الأموي والعباسي ، وتعرض الإمام أبو محمد الحسن (عليه السلام) لهجمات عنيفة من بعض كتّاب العرب .

ولكن الحقائق والوقائع أثبتت أن الأئمة الإثني عشر (صلوات الله عليهم) كانوا القدوة الرائعة والأسوة الحسنة ، فلم يؤثر عنهم خطأ في رأي أو كذبة في قول ، وإنما قولهم السداد ، ومنطقهم الصواب ، وعلمهم الفصل ، وعملهم الحكمة ، فهم عيش العلم ، وموت الجهل وتمام الدين .

ألم يعلموا ما انطوت عليه وصايا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأحاديثه في فضل أهل البيت (عليهم السلام) وخلافتهم وإمامتهم ، فقد أفصحوا وصرّحوا في كتبهم بتلك الوصايا والأحاديث كحديث الإثني عشر والثقلين والغدير وغيرها من الأحاديث المتعلقة بخلافة وإمامة الحسن بن علي (عليهما السلام) .

ثم يأتي الإنكار والتحريف بعدما أصيبت قلوبهم بعقدة التعصب ، واسترخت عقولهم في ترهات الخيال وأحاديث الهواجس النفسية ، وينكشف واقعهم الذي تكثر فيه أوبئة التعصب والاجتهادات الشخصية ، وغيرها من الهواجس النفسية والدوافع النفعية .

وحرى بنا أن نأسف على بعض هذه الشخصيات الإسلامية التي فسرت سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الحسن المجتبي (عليه السلام) وفق معايير مغلوبة تفتقد إلى الروح العلمية والأخلاقية ، وأن نحزن لظاهرة تجافيتهم عن القراءة الموضوعية لسلوك العظماء ، وإنما على يقين بأنهم لم يقرأوا سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) بتجرد وحيادية ، ولم يقرأوا حياته من مصادر موثوقة لا غبار عليها .

ويبدو أن شأنهم شأن المستشرقين إذ كانوا يحملون تصوراً مشوهاً عن المصادر الشيعية ، وهذا التصور جاء نتيجة الإجماع الملبدة بغيوم الشك والارتباب والتعصب .

ولا نعجب من منهج التشكيك هذا الذي طال رموزاً عظيمة ، فقد أسس العباسيون والأمويون ومن سبقهم في الحكم هذا المنهج التشكيكي الذي يقوم على أساس التحريف والكذب والوضع ، ويقوم على أساس نفي أي صفة عالية يتسم بها العظماء .

وقد طال ذلك التحريف والوضع سيد الكائنات النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) ، والمؤسف أن تلك الأحاديث المحرفة والتي تناولت شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالسوء وجدت طريقها في كتب الصحاح ، فاكتسبت طابع الشرعية لديهم .

ومن مصائب الإسلام في عصور كثيرة ، وفي هذا العصر أن يأتي كتاب يعجزون عن الموازنة والتمييز بين الحقيقة والكذب ؛ لخلل في مداركهم يمنعهم من الإلتزان والفهم الموضوعي ، ولنقص في ثروتهم العلمية ، فيخرجون بنتائج خطيرة على المجتمع الإسلامي وشكل عقابها الضار دماراً شاملاً أصاب كبد الحقيقة .

وقد وصفوا سبط النبوة الإمام الحسن (عليه السلام) بصفات بعيدة كل البعد عن الحقائق الموضوعية التي وردت في المصادر الإسلامية المُنصفة ، ومنهم المستشرق لامنس الذي قال بأنه قد أنفق سني شبابه في الزواج والطلاق ، فأحصي له حوالي المائة زوجة ، وأنه مبذر مسرف قد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم ، ويبيعث المال أيام خلافة علي التي اشتد عليها الفقر (١) .

وامتألت كتب المستشرقين وغيرهم من الكتاب المتحاملين على الرسالة والمرسل وأهل بيته (صلوات الله عليهم) كقول كاتب من الكتاب إن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن يحمل نفس الضراوة التي كان يحملها الإمام الحسين ، ولا نشك في أن الإمام الحسن (عليه السلام) شجاع لا يعرف الجبن وهو من قادة المسلمين اشترك في فتوح طبرستان وأصفهان وفتح القسطنطينية وفي حروب أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما ينزل إلى ساحة القتال يرافقه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومنها في أيام صفين عندما رأى الحسن (عليه السلام) يتسرع إلى الحرب قال : "إملكوا عني هذين الغلامين فإني أنفس بهما عن القتل أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) " (٢) .

(١) الحساني ، صلح الحسن في فكر المستشرقين ، نقلاً عن شتيفسكا يوجينا غيانة ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٥٨ ، مادة الحسن بن علي (عليهما السلام) .
(٢) السمهودي الشافعي ، جواهر العقدين ، ص ٢١١ .

ب . افتراءات لا تنسجم مع مكانة المعصوم عليه السلام

لو وضعنا مقارنة بسيطة بين ما ورد من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في حق الإمام الحسن (عليه السلام) وسيرته الحسنة وبين ما وصفه هؤلاء لتبين أنهم كاذبون ويظلمون الإمام الحسن (عليه السلام) الذي تربي في أحضان النبوة (١) .

فالتفاوت العقائدي بين الإسلام وثقافات المستشرقين جعل الكثيرين من هؤلاء يقعون في شطط عقلي وعلمي ، وهذا ناتج عن قصورهم الذهني من جانب وعن تعصبهم الديني من جانب آخر (٢)

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن اسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام : " اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذر حين ذراه ، وفي البرية حين برأه ، ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه ، محبوباً بالحكمة في علم الغيب عنده ن اختاره بعلمه ن وانتجبه لطهره ، بقية من آدم عليه السلام وخيره من ذرية نوح ، ومصطفى من آل ابراهيم ، وسلالة من اسماعيل ، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله ، لم يزل مرعياً بعين الله ، يحفظه ويلؤه بستره ، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده ، مدفوعاً عنه وقوب الفواسق ونفوث كل فاسق ، مصروفاً عنه قوارف السوء ، مبرء من العاهات ، محجوباً من الآفات ، معصوماً من الزلات ، مصوناً عن الفواحش كلها ، معروفاً بالحلم والبر " (٣) .

وما رواه الشيخ الكليني أيضاً عن محمد بن يحيى عن محمد بن اسماعيل عن علي بن الحكم عن معاوية بن وهب قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما علامة الإمام الذي بعد الإمام ؟ ، فقال : " طهارة الولادة وحسن المنشأ ن ولا يلهو ولا يلعب " (٤) .

فهاتان الروايتان صريحتان في نفي اللهو عن الإمام عليه السلام ، فبعض الروايات المسيئة تعرضت لمقام أبي محمد الحسن المجتبي (عليه السلام) في هذا الشأن أي اللهو وأنه كثير الزواج

(١) الحساني ، صلح الحسن في فكر المستشرقين ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وفيها الردود والانتقادات من بعض الكتاب على افتراءات هؤلاء المستشرقين .

(٢) الحكيم ، حسن ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية ، ط القضاء ، النجف الأشرف ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٤

(٣) الكافي : ٢٠٣/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٨٤/١ .

فكيف نقبل تلك الأخبار المسيئة لسبط النبي صلى الله عليه وآله والأخبار مستقيضة في حبه ومودته من الله تعالى ورسوله في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله (١) .

ومع هذا الحب من رسول الله صلى الله عليه وآله لسبطه عليه السلام وأمره الناس بحبه وأن الله يحب من يحبه ويكون الإمام الحسن غير محبوباً عند الله ! ، إذ روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال سمعت أبي يقول : " إن الله عز وجل يبغض كل مطلق وذواق " (٢) .

ت . روايات آحاد وضعيفة السند

أخبار الآحاد لا تصلح للاستشهاد والاستنباط العقائدي وما يتعلق به من مسائل حتى لو كان هذا الخبر صحيح السند .

وما ذكر من روايات في خصوص كثرة زواج الإمام الحسن عليه السلام وطلاقه كان من الآحاد ، وخبر الآحاد إذا لم يحتف بالقرائن الموجبة للعلم بصدقه - وإن احتف بالقرائن الموجبة للاطمئنان إليه دون مرتبة العلم - فقد وقع الخلاف العظيم في حجيته وشروط حجيته (٣) .

وذكر السيد الخوئي (قدس سره) في تقريراته عن المحقق النائيني أن في خبر الواحد اصطلاحين أحدهما ما يقابل الخبر المتواتر والمحفوظ بالقرينة القطعية ، وثانيهما الخبر الضعيف في مقابل الموثق ، وبهذا يجمع بين القولين باعتبار أن مراد المنكر لحجية خبر الواحد هو الخبر الضعيف ، ومراد القائل بالحجية هو الخبر الصحيح الموثق (٤) .

ومن المذاهب الأخرى من قال أن خبر الآحاد لا يفيد العلم كالنووي الذي قال : خبر الآحاد لا يوجب العلم ، ومن قال أنه يوجب العلم فهو مكابر ، وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم

(١) انظر سنن ابن ماجة : ٦٤/١ ؛ مستدرک الحاكم : ١٦٦/٣ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : " من أحب الحسن و الحسين فقد أحبني و من ابغضهما فقد ابغضن " ؛ وفي تهذيب التهذيب ٢/٢٩٧ : " من أحبني و أحب هذين و أباهما و أمهما كان معي في درجتي يوم القيام " .

(٢) وسائل الشيعة : ٨/٢٢ عن الكافي .

(٣) الشيخ المظفر ، أصول الفقه : ص ٧٢ .

(٤) اجود التقريرات : ٣/١٨٠ .

والكذب وغير ذلك متطرق إليه ، والغزالي في قوله : إن عدم إفادته للعلم معلوم بالضرورة وأنه يفيد الظن ولا يوجب علم اليقين (١) .

ولكي يكون خبر الأحاد حجة ويصح الاستناد إليه ، فلا بد أن تتوفر فيه أصالات ثلاث ، أصالة الصدور وأصالة الظهور وأصالة الجهة ، وأصالة الصدور تعني إحراز صدور الرواية عن المعصوم عليه السلام ، ومع عدمه لا يمكن الاستناد إليها ، ولا يجوز نسبة ذلك إليه عليه السلام ، وهي قول المعصوم (عليه السلام) أو فعله أو تقريره وهل يثبت بخبر الواحد أم لا ؟ (٢) .

أما أصالة الظهور فتعني ظهور ألفاظ المتن في العموم أو الإطلاق أو الحقيقة ، فلا يمكن العمل بأي نص يأتي من قبل الشارع المقدس ، سواء كان هذا النص آية أو رواية إلا بعد معرفة مقصده وفهم مراده من خلال الألفاظ الواردة في ذلك النص والمعنى الأقرب إلى اللفظ في النظام اللغوي العام وإتخاذها أساساً لتفسير الدليل اللفظي على ضوءه (٣) .

وأما أصالة الجهة: فتعني إحراز أن النص الشرعي قد صدر لبيان المراد، ولم يكن صدوره من باب اختبار السامع وامتحانه، أو من باب التقية، بل صدوره من المتكلم وهو قاصد لمعنى كل كلمة قالها في كلامه ، وتحققت جهة الصدور سيرة العقلاء على حمل الكلام الصادر من كل متكلم على أنه صادر لبيان المراد الواقعي، لا لداع آخر كالتقية والسخرية ونحوهما (٤) .

وعلماء الشيعة سلكوا في ذلك مسلكين هما مسلك الوثيقة أي وثيقة نفس الراوي والذي يعد المحور الأساس في حجية وصحة الرواية ، ومسلك الوثوق وهو الوثوق بصدور الرواية عن المعصوم عن طريق قرائن تدل على صحتها وتوجب الركون إليها والأخذ بها (٥) .

فمرة جاءت الرواية بأن أمير المؤمنين عليه السلام أشار للمسيب بأن يزوجه عبد الله بن جعفر ونصها : أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم وغيرهما عن أبي الحسن بن نظيف المقرئ ، حدثنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيخت البغدادي ، حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس الصولي ، حدثني عون عن أبيه عن الهيثم ، حدثنا ابن عياش عن أبيه قال : خطب الحسن والحسين (عليهما السلام) وعبد الله بن جعفر إلى المسيب بن نجبة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ١١٧/١ ؛ المستصفى في علم الأصول : ١٤٥/١ .

(٢) الشيخ الأنصاري ، فرائد الأصول : ١٥٦/١ .

(٣) الشيخ المظفر ، أصول الفقه : ١٥٢ ؛ الصدر ، محمد باقر ، المعالم الجديدة للأصول : ص ١٤٠ .

(٤) الشيخ الأنصاري ، فرائد الأصول : ١٥٦/١ .

(٥) الشيخ السبحاني ، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية : ٥٣ ؛ الفضلي ، عبد الهادي ، أصول الحديث : ١١٣ .

ابنته الحسان فقال لهم : إن لي أميراً لا أعدو أمره ، فأتى علي (عليه السلام) فأخبره خبرهم واستشاره فقال له علي : أما الحسن مطلق وليس تحظين عنده ، وأما الحسين فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله ، وأما عبد الله بن جعفر فقد رضيته لك فزوجه المسيب ابنته (١) .

ووردت مغايرة لتلك الرواية بأنه عليه السلام أشار على المسيب بأن يزوجهما للحسين عليه السلام ومضمون الرواية : عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي في المحاسن عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : جئتك مستشيراً أن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خطبوا إليّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : المستشار مؤتمن ، أما الحسن فإنه مطلق للنساء ، ولكن زوجها الحسين فإنه خير لابنتك (٢) .

وفي رواية مختلفة عن الروايتين السابقتين أنه عليه السلام أشار على المسيب بتزويج ابنته لعبد الله بن جعفر لا إلى الحسين عليه السلام ، عن المسيب بن نجبة أن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر أتوه يخطبون إليه ابنته ، فقال مكانكم حتى أعود إليكم ، فأتى علياً فقال : إني خلفت في المنزل الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر يخطبون إليّ وأتيت أمير المؤمنين لأشاوره ، فقال : أما الحسن فمطلق ولا تحظي النساء عنده ، وأما الحسين فمطلق ، ولكن زوج ابن جعفر ، فزوج ابن جعفر ، فقال له : منعنا وزوجت ابن جعفر ؟ فقال : أشار عليّ أمير المؤمنين ، فأتياه فقالا : وضعت منا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المستشار مؤتمن ، فإذا أستشير أحدكم فليؤثر بما هو صانع لنفسه (٣) .

إن من يقف على هذه الرواية يتوجب عليه أن يتأمل ويفكر في ولاء المسيب بن نجبة للإمام الحسن (عليه السلام) طيلة أيام حياته ويكاد وكان من أنصاره في قضاياها المصيرية ، فكيف يثق المسيب بالإمام الحسن (عليه السلام) وكيف يعطيه هذا الولاء كله في مواجهة أشد الأعداء ضراوة وشراسة ولا يعطيه ابنته بسبب الشك والظن به في أنه سوف لن يحفظ ويصون كرامة ابنته ؟ ، فضلاً عن ضعف سند الرواية ولا يمكن الأخذ بها لأن في سندها إبراهيم بن

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق : ٢٧ / ٢٦٢ ؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣١٧/٢ ، ح ٨٧٦٧ ؛ من لا يحضره الفقيه ، كتاب النكاح : ٣/ ٢٣٦ ؛ وسائل الشريعة ، كتاب النكاح ، باب ٥ ، ح ٣ .

(٢) وسائل الشريعة : ١٥ / ٢٦٨ ، باب جواز رد الرجل المطلق إذا خطب .

(٣) المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ٢ / ٣١٧ ، ح ٨٧٦٧ ؛ من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٢٣٦ ، ح ١ ، كتاب النكاح ، فضل التزويج .

علي بن الفتح ، فقد ضعفه الشيخ الصدوق ، وكذلك الخطيب في تاريخه وكان واهي الحديث ساقط الرواية ، وضعفه وابن الجوزي والذهبي (١).

ومع الأسف الشديد أن بعض كتّابنا انخدعوا ببعض المنقولات في هذا الموضوع وغيره من الشبهات والروايات المكذوبة من كتب العامة فقصوها في كتبهم وينظر إليها الناظر وكأنها من الأمور الثابتة .

قال الحافظ العراقي : وليعلم الطالب أن السير تجمع ما صح وما قد أنكر (٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي : إن حاجة التاريخ إلى معرفة أحوال ناقلي الوقائع التاريخية أشد من حاجة الحديث إلى ذلك ، فإن الكذب والتساهل في التاريخ أكثر (٣).

وما ورد من كون الحسن (عليه السلام) قد تزوج بأكثر من سبعين امرأة أو تسعين ونحو ذلك من الروايات ينبغي التوقف عن قبولها والتريث في التعويل عليها لأن اسنادها لا تقوم به حجة .

يقول الدكتور علي محمد الصلابي : قد ذكر المؤرخون أن من زوجاته خولة الفزارية وجعدة بنت الأشعث وعائشة الخنمية وأم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وأم بشير بن أبي مسعود الأنصاري وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وأم عبد الله بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي ، فهذا العدد لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصله بعرف ذلك العصر (٤) .

ولعل ابن كثير أشار إلى أن ما ورد في ذلك لم يصح بقوله : يقال إنه أحسن سبعين امرأة ، ويقال إنه طلق إمرأتين في يوم واحد من بني أسد وأخرى من بني فزارة ، وبعث إلى كل واحدة بعشرة آلاف وبزقاق من عسل (٥) .

ومعروف أن الحسن بن علي (عليهما السلام) كان زاهداً عابداً بعيداً عن الإسراف متمسكاً بسنة جده (صلى الله عليه وآله) وسيرة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الزهد والعدل .

(١) من لا يحضره الفقيه ، كتاب النكاح ، باب ٥ ، ح ٤ ؛ تاريخ بغداد : ٥٩ / ١٣ ، ميزان الاعتدال : ٧٣ / ١ ؛ وفي الموضوعات : ١١٦ / ١ قال ابن الجوزي : قال الخطيب : إبراهيم أبو الفتح البغدادي واهي الحديث ساقط الرواية ؛ وفي ميزان الاعتدال : ١٧٣ / ١ .

(٢) ألفية السير ، ص ١ .

(٣) علم الرجال وأهميته ، ص ٢٤ .

(٤) خامس الخلفاء الراشدين ، ص ٢٧ .

(٥) البداية والنهاية : ٤٢ / ٨ .

وأوردها أحمد بن أبي عبد الله البرقي (١) في كتاب المحاسن عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان (٢) عن أبي عبد الله عليه السلام ينصح فيها يشير أمير المؤمنين عليه السلام على المسيب بتزويجها الحسين عليه السلام ، قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام : أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : جئتك مستشيراً أن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خطبوا إلي ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : المستشار مؤتمن ، أما الحسن فإنه مطلق للنساء ، ولكن زوجها الحسين فإنه خير لابنتك (٣) .

قال البعض إن هذه الرواية من اصعب الروايات حول الشبهة لصحة سندها ومع ذلك لا يمكن الأخذ بمتنها ومضمونها لأنها تحط من كرامة الإمام المعصوم ومناقضتها لآيات الكتاب وأحاديث السنة التي دلت على فضله وعظمته .

ومن يحمل هذه الرواية على الصحة ماذا يختلج في نفسه ، هل يعتقد أنهما أي الحسن والحسين يتصفان حقيقة بهذه الصفات وعبد الله بن جعفر أفضل منهما ؟ أو يحتكم للعقل وخلاف ذلك ؟ ، نحن عثرنا على رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تنص على أن عبد الله بن جعفر صاحب لهو فلماذا لم يشر للمسيب بذلك وهو قد قال حينها المستشار مؤتمن ؟ (٤) .

(١) قال العلامة الحلبي ثقة غير انه اكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل ، قال ابن الغضائري طعن عليه القميون وليس الطعن فيه وانما الطعن فيمن يروي عنه فغنه كان لا يبالي عن أخذ على طريق الإخبار . (خلاصة الاقوال الباب ٧ فصل الهمة ، ص ٦٣)

(٢) قال الكشي ٢/ ٧١٠ ح ٧٧٠ في رجال الكشي كان من ثقات رجال أبي عبد الله الصادق عليه السلام وعده البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام وأنه كان على خزائن المنصور والمهدي ، وذكر النجاشي في رجاله ص، ٢١٤ رقم ٥٥٨ : أنه كان خازناً للهادي والرشد وعده في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ونسب ذلك إلى المجهول وقال : ليس بثبت . وله رواية عن أبي الحسن الرضا في الكافي ج ٥ ، ص ٨٨ ، ح ٦ ، باب حد الرضاع الذي يحرم النكاح . ورواه الشيخ ايضاً في التهذيب ج ٧ ، ح ١٢٩٥ .

قال ابن حجر : عبد الله بن سنان الزهري الكوفي نزيل بغداد روى عباس عن يحيى حديثه ليس بشئ وقال أبو حاتم ضعيف ، قلت له عن ابن المنكر وزيد بن أسلم وهشام بن عروة ، وقال أحمد بن حاتم الطويل حدثنا عبد الله بن سنان عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديث " ما أسكر كثيره فقليله حرام " ، قال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وذكره العقيلي في الضعفاء . لسان الميزان ٢/ ٢٩٨ . وبعده ذكر ترجمة عبد الله بن سنان الهروي وهو غير عبد الله بن سنان بن سنان الزهري الكوفي قال الذهبي وفي طبقته عبد الله بن سنان الهروي وثقه أبو داود ، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين . لسان الميزان : ٢/ ٢٩٨ .

(٣) البرقي ، المحاسن : ٦٠١/٢ ؛ وسائل الشيعة ١٥/ ٢٦٨ ، ب ٢ ، ح ١ ؛ مستدرک سفينة البحار : ٦٠/٦ ، الحدائق الناضرة للبحراني ج ٢٥ ص ١٤٨ ، بحار الأنوار : ١٠١/٧٢ .

(٤) انظر أنساب الأشراف : ٦/٣ .

والملاحظ على هذه الرواية أنها مرة نصت بأن من خطب ابنة المسيب هما الحسن والحسين عليهما السلام ، وفي رواية أخرى كان معهما عبد الله بن جعفر وهي التي ورد فيها قبح أمير المؤمنين بالإمام الحسين عليهما السلام أيضاً (١) .

والملاحظ أيضاً أن الإمام علي عليه السلام أشار إلى تزويج ابنة المسيب بن نجبة هذه لعبد الله بن جعفر ، وهي جمانة أم عون الأصغر بن عبد الله بن جعفر الطيار مقتول يوم الحرة ، وعون الأكبر شهيد كربلاء وأمه زينب العقيلة عليها السلام ، وأشار إلى ذلك الطبري والزبيدي وابن حبان في سيرته وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (٢) .

وهذا يسقط رواية المحاسن التي ورد فيها قول الإمام علي عليه السلام زوّجها الحسين فهو خير لابنتك . وعليه فجميع الروايات ساقطة عن الحجية سنداً ودلالة على كلا المسلكين .

يقول السيد السيستاني (دام ظلّه) : بعض المذاهب قالت بحجية القياس والاستحسان والتزموا بالنقد الداخلي للأحاديث بمقارنتها مع الأصول العامة في الإسلام كالمذهب الحنفي ، ومدرسة الحديث نشأت كرد فعل لامتداد مدرسة الرأي وتجسدت في المذهبين الحنبلي والمالكي أفرطت في الاعتماد على الحديث بمجرد كونه خبر ثقة من دون ملاحظة القواعد العامة ، وقد تأثر بكل واحد من المدرستين بعض علماء الشيعة (٣) .

وفي حجية الخبر الواحد عن المسلك العقلاني يقول سماحته : واخترنا أن المعتمد عليه عند العقلاء هو الوثوق الناشئ عن مقدمات عقلانية ، ومن هذه المقدمات كون الخبر صادر من ثقة كون المضمون مشهوراً أو مجتمعاً عليه (٤) .

ويقول السيد الخوئي (قدس سره) : كيف يمكن دعوى أن أحاديث سائر الأئمة قطعية الصدور ، وذلك أن أرباب الأصول والكتب لم يكونوا كلهم ثقات وعدولاً ، فيحتمل فيهم الكذب أو السهو والاشتباه ، وروايات الكتب المعروفة والأصول المشهورة لم تكن قطعية الصدور ، وإنما يلزم قبولها بشرط أن تكون رواياتها ثقات للاجماع على حجيتها (٥) .

(١) انظر الرواية في : أنساب الأشراف للبلاذري : ٦/٣ .

(٢) انظر التستري : قاموس الرجال : ٢٧٣/١٢ ؛ ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء : ٥٥٩/٢ ؛ ابن الصباغ المالكي ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة : ٨٤٦ ؛ النمازي ، مستدركات علم الرجال : ١٤٣/٦ .

(٣) السيستاني ، علي الحسيني ، الرافد في علم الأصول ، محاضرات السيد السيستاني بقلم السيد منير الخباز : ص ١٦ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٤ .

(٥) معجم رجال الحديث : ٢٢/١ .

والشيخ الصدوق في كتابه "من لا يحضره الفقيه" قد ألف فهرساً ذكر فيه طرقه إلى الكتب التي رواها عن مشايخه وأسلافه ، فهو إنما يروي الكتب بتلك الطرق المعروفة في ذلك الفهرس ، ولكنه لم يصل إلينا فلا نعرف من طرقه غير ما ذكره في المشيخة من طرقه إلى من روى عنهم في كتابه ، وأما طرقه إلى أرباب الكتب فهي مجهولة عندنا ولا ندري أن أياً منها كان صحيحاً وأياً منها غير صحيح ، ومع ذلك كيف يمكن دعوى العلم بصدور جميع هذه الروايات من المعصومين عليهم السلام وهذه الدعوى واضحة البطلان (١) .

وزيادة على ذلك فهو (قدس سره) يقول في آخر ترجمته لسنان بن سنان وهو أبو عبد الله بن سنان ومن أصحاب الإمام الباقر: سنان بن سنان لا يعتمد على روايته (٢) .

وجاء في البحار : أن الوضاعين ما كانوا ينقلون عن الأئمة عليهم السلام حتى لا يقبل منهم الخبر المخالف للكتاب بالتباين والعموم من وجه بل كانوا يدسون تلك المجعولات في كتب الثقات من أصحاب الأئمة عليهم السلام كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه لعن المغيرة لأنه دس في كتب أصحاب أبيه عليه السلام أحاديث كثيرة (٣) .

وما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام هو مصداق لبطلان هذه الأخبار الأحاد المخالفة للكتاب والسنة وهو قوله عليه السلام : " انظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه " (٤) .

والمقصود من رد الأحاديث انكار مضمونها وعدم القبول به والحكم ببطلانه ونسبتها بالكذب على المعصوم .

ورواية سندها عن محمد بن حميد الرازي الذي ضعفه البخاري وله خمسون ألف حديث ضعيف كما جاء في تاريخ ابن عساكر ، وقال عنه ابن أبي شيبه ضعيف ليس بشيء ، وكذلك أبو يعلى وابن عدي الذي قال : كذاب وأكذب من الكذاب (٥) .

ورواية عن أحمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن جعفر بن بشير عن يحيى بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن الحسن بن علي طلق خمسين امرأة فقام علي (عليه السلام) بالكوفة فقال : يا معاشر أهل الكوفة لا تتكحوا الحسن فإنه رجل مطلق ، فقام

(١) معجم رجال الحديث : ٢٤-٢٥ / ١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٥ / ٩ .

(٣) بحار الأنوار : ٢٤٩ / ٢ ، كتاب العلم .

(٤) الحر العاملي ، وسائل الشيعة : ٨٧ / ٢٧ ، ح ٣٩ ، معجم رجال الحديث : ٢٥ / ١ .

(٥) الكامل لابن عدي : ٢١٣ / ٥ ؛ تاريخ مدينة دمشق : ٢٦١ / ٢٧ ؛ مسند أبي يعلى : ٢٠٨ / ٢ .

إليه رجل فقال : بلى والله لننكحنه فإنه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن فاطمة فإن أعجبتيه أمسك وإن كره طلق (١) .

والرواية من حيث السند ضعيفة على المسلكين لجهالة يحيى بن أبي العلاء الرازي فهو مجهول ولم يوثق فلا يعتمد عليها (٢) ، كما يمكن رد هذه الرواية من حيث الدلالة فلا يمكن أن يتصور بأي حال من الأحوال اختلاف الحسن مع أبيه عليهما السلام واستحالة صدور ذلك منه عليه السلام .

ورواية أخرى بسندٍ عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن محمد بن زياد بن عيسى، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن علياً قال وهو على المنبر: لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق ، فقام رجل من همدان فقال: بلى والله لنزوجه ، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن شاء أمسك وإن شاء طلق (٣) .

وحמיד بن زياد والحسن بن محمد بن سماعة واقفيان شديدا العناد وتوثيقهما مردود فيما يتعلق بالعقائد المخالفة لنا (٤) .

وروى السيد الخوئي ماأنكره وكذبه الحسن بن سماعة مما أخبر به الإمام علي الهادي عليه السلام عما سيحل برجل من سر من رأى وقال إنما أنكر ذلك لعناده (٥) .

وفي هذه الرواية - أي التي في سندها حميد بن زياد والحسن بن سماعة - يقول الشيخ الأيرواني : إن الكتب الأربعة وغيرها فيها أحاديث قد لا يمكن التصديق بصدورها من قبيل ما نقله الكليني في الكافي في كتاب الطلاق من أن أمير المؤمنين عليه السلام ارتقى المنبر وقال : لا تزوجوا ولدي الحسن فإنه مطلق (٦) .

(١) الكافي : ٥٦/٦ ؛ بحار الأنوار : ١٧٢ / ٤٤ .

(٢) انظر وسائل الشيعة للحر العاملي : ٩/٢٢ ؛ الحدائق الناظرة للمحقق البحراني : ١٤٨/٢ ، معجم رجال الحديث : ٩٤/١٦ ، رقم ١٠٧٧٢ .

(٣) أصول الكافي : ٥٦/٦ .

(٤) المحقق الأردبيلي : ٢٦٢/١٠ .

(٥) معجم رجال الحديث : ١٢٧٦/ ، رقم ٣١١٥ .

(٦) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية : ٢٢٢ .

وإننا لا نرضى بتقديس كتاب الكافي ولا غيره بثمان باهض يحط فيه من كرامة إمامنا الحسن عليه السلام (١) .

وإذا قيل بأن أمثال هذه الروايات لا بد من رفع اليد عن ظاهرها وتأويلها بشكل من الأشكال من قبيل تأويل الرواية التي تضمنت ارتقاء أمير المؤمنين عليه السلام وقوله : لا تزوجوا الحسن فإنه مطلق ، بأن بعض العوائل الكوفية كانت تحاول تزويج الإمام الحسن عليه السلام من بعض بناتها ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحذر على ولده من تلك البنات ؛ لذا ارتقى المنبر وقال : لا تزوجوا ولدي الحسن فإنه مطلق حذراً منه على ولده .

أجبنا : ما الفائدة في الحفاظ على الصدور وإلغاء الظهور ؟

إن تقديس أهل البيت عليهم السلام وأخبارهم يلزم أن يدعونا للحفاظ عليها صدوراً وظهوراً ، أما التسليم بصدورها مع عدم العمل بظهورها فهو رقع بالتالي لليد عن أخبار أهل البيت عليهم السلام ويعني عدم عملنا بها (٢) .

ورواية المدائني عن أبي جعدبة يزيد بن عياض عن ابن أبي مليكة قال : تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور بن زيان بن سيّار بن عمرو الفزاريّ ، فبات ليلة على سطح له أجم لا ستر له ، فشددت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها ، فقام من الليل فقال : ما هذا ؟ قالت : خفت أن تقوم بوسنك في الليل فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فأحبها وأقام عندها سبعة أيام ، فقال ابن عمر : لم نر أبا محمد منذ أيام فانطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقالت خولة : احتبسهم حتى نهى لهم غداء . قال : نعم . قال ابن عمر : فابتدأ الحسن حديثاً ألهاها بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا بالطعام ، وقال قوم : التي شدت خمارها برجله هند بنت سهيل ، وكان الحسن أحسن تسعين امرأة (٣) .

وزيد بن عياض بن جعدبة أبو الحكم المدني قال عنه البخاري في تاريخه الصغير والكبير منكر الحديث ، وقال ابن أبي شيبه ضعيف ليس بشيء ، وقال ابن عدي : ليس بشيء ولا يكتب حديثه ، وقال : قال النسائي : يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة متروك الحديث مدني (٤) .

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف : ٢٥/٣ .

(٤) التاريخ الصغير ٨٣/٢ ؛ التاريخ الكبير : ٣٥١/٨ ؛ وسائل الشيعة : ٧/٢٢ ؛ الكامل : ٢٦٣/٧ .

والمدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ هو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم ، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه ، وضعفه ابن عدي في الكامل فقال فيه ليس بالقوي في الحديث وهو صاحب الأخبار وأقل ما له من الروايات المسندة (١) .

فكيف وفقوا بين هذا العدد الكثير من الزوجات مع ما عنده من أولاد ، فيذكر أنه (عليه السلام) تزوج سبعين حرة ومَلِك مائة وستين أمة في سائر عمره ، فهل هذا العدد من النساء يتلائم مع ما كان له من الأولاد أي الذكور والأنثى الخمسة عشر ؟ .

ففي الإرشاد قال الشيخ المفيد : أولاد الحسن بن علي عليهما السلام خمسة عشر ولدا ذكرا وأنثى : زيد بن الحسن ، وأختاه أم الحسن وأم الحسين ، أمهم أم بشير بنت أبي مسعود بن عقبة ابن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، والحسن بن الحسن أمه خوله بنت منظور الفزارية وعمرو بن الحسن وأخوه القاسم وعبد الله ابنا الحسن أمهم أم ولد ، وعبد الرحمن ابن الحسن أمه أم ولد ، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم ، وأخوه طلحة بن الحسن وأختها فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي ، وأم عبد الله ، وفاطمة ، وأم سلمة ، ورقية بنات الحسن عليه السلام لأمهات شتى (٢) .

فهل يتناسب هذا العدد من البنات والأولاد مع نسائه الثلاثمائة أو مع التسعين أو السبعين أو حتى الخمسين أو أقل من ذلك .

والسؤال الأهم هو المفروض من يتزوج هذا العدد من النساء تكون له ذرية وأولاد وإن كان منهن عشرة عقيمات أو أكثر فأين ذريته من هذا العدد من النساء ؟

ومجموع أولاد الإمام الحسن (عليه السلام) المعروفين ممكن أن يكونوا من امرأة واحدة أو إمرأتين ، وعدّ المجلسي من أستشهد منهم مع عمهم الحسين (عليه السلام) في معركة الطف كعبد الله والقاسم وأبي بكر ، والمعقبون من أولاده إثنان هما زيد بن الحسن والحسن بن الحسن (٣) .

وهذه النصوص تشتمل ما يوجب الشبهة والشين لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام) بمعنى كثير الطلاق ، والطلاق من الأمور المكروهة والمعصوم لا يفعل مكروهاً أبداً .

(١) الكامل : ٢١٣/٥ .

(٢) بحار الأنوار : ١٦٣ / ٤٤ .

(٣) المصدر نفسه : ١٦٧ / ٤٤ .

وهذه النصوص والأخبار لا يصح الاستناد عليها إلا إذا كانت قد صدرت فعلاً عن معصوم ، وكيف يمكن لنا أن نثق بأن هذا النص صادر عن المعصوم أو هي نصوص مؤكدة غير موضوعة ، والنصوص التي بين أيدينا في هذا الشأن هي أخبار آحاد لا تفيد العلم والاطمئنان ، وإنما تفيد الظن ، وهي أخبار نقلت بواسطة راوٍ واحد أو أكثر لا يبلغ العدد الموجب للاطمئنان المحقق لكونها متواترة ، وهذه الأخبار لا يمكن الاعتماد عليها إلا أن تكون سلسلة السند التي وصل الخبر إلينا بواسطتها كلهم ثقات ، ولو كان في طريق الرواية شخص ضعيف لا نثق بأن النص صادر من المعصوم ولا يمكن نسبته إليه .

ولا يمكن أن يحصل عند من يقرأ مثل هذه الأخبار الوثوق والاطمئنان بصدورها من المعصوم بغض النظر عن مناقشة سند هذه الأخبار لاضطراب متن هذه الروايات والأخبار ، فذكر في بعضها أنه (عليه السلام) تزوج سبعين امرأة ، والبعض ذكر أنه تزوج تسعين امرأة ، وأخرى مائتين وخمسين ، ورواية أنه تزوج ثلاثمائة امرأة ، وهذا مخالف للواقع ، فمن المعلوم أن للحسن (عليه السلام) خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى ، وهذا العدد لا يتوافق مع ما ذكر من عدد زوجاته .

ولو كان كثير الزواج والطلاق كما يقال لكان حجة لمعارضيه على توليه الخلافة ، لأن انشغاله بهذا العدد من النساء سيقضي إلى تعطيل مصالح الأمة ، ولم يصل إلينا أن أحداً من أعداءه أذاع هذه الشبهة في وقتها فدل على عدم وقوعها .

وكان الإمام الحسن كثيراً ما يناظر أعداءه سواء كان معاوية أو عمرو بن العاص وغيرهما من الأعداء والمنافقين ، وكثيراً ما تعقد المناظرات ، وكلّ منهم يريد أن يقع على ما يعيبه عليه السلام ، ومعاوية وعمرو بن العاص دائماً يتتبعون العثرات والفجوات للإمام ويختلقونها ولو كانت كذباً وغير حقيقية ، فلم نر في مناظرة من المناظرات على أنهم تطرقوا إلى أن الإمام كان كثير الزوج ، كتلك المناظرات الطويلة التي جاءت في كتاب الاحتجاج للطبرسي وغيرها من المناظرات .

ومن تلك المناظرات الطويلة التي أوردها الشيخ الطبرسي من مصادر موثوقة ، رواها عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا : لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول من يوم اجتمع فيه

عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطؤوا على أمر واحد (١).

وما وجدنا في هذه المناظرة أن هؤلاء - وهم أشد الأعداء للحسن بن علي (عليه السلام) - أنهم أسمعوا الإمام الحسن عليه السلام بشيء من ذلك وعابوا عليه كثرة زواجه وطلاقه للنساء ، ولا سمعنا رواية من ذلك العصر أو رجل ممن كان في عصر الإمام الحسن (عليه السلام) قد عرّض له منه بذلك ، حتى قال معاوية لأولئك المنافقين : ألم أقل إنكم لن تنتقصوا من الرجل فهلا أطعموني أول مرة فانتصرتم من الرجل إذ فضحكم ، فوالله ما قام حتى أظلم عليّ البيت ، وهممت أن أسطوا به فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم (٢) .

ومما يؤيد افتعال تلك الأخبار ما روي أن الحسن (عليه السلام) لما وافاه الأجل خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن نحن أزواجه (٣)، وهذا الخبر لم نقرأه في المصادر المعتبرة التي تناولت حياة الإمام الحسن (عليه السلام) وسيرته ، والخبر مفتعل كبقية الأخبار والروايات الطاعنة في شخصية إمامنا المعصوم (عليه السلام) ، وما الحكمة من خروج هذه النسوة حافيات حاسرات وهنّ المأمورات بالتستر والحجاب ، وما الداعي لأن يخرجن مزاحمات للرجال وكان قد طلقهن الحسن (عليه السلام) ، والرواية ليس لها سند يذكر مما اضطر ابن شهر آشوب أن يرمي بعهدتها على أبي طالب المكي صاحب قوت القلوب حيث أنه أخرجها في كتابه هذا ، وقال الخطيب : ذكر في قوت القلوب اشياء منكرة في الصفات ، وكان من أهل الجبل ، ونشأ بمكة ، قال لي أبو طاهر العلاف إن أبا طالب وعظ ببغداد وخلط في كلامه وحفظ عنه أنه قال ليس على المخلوقين أضر من الخالق فبدعوه وهجروه فبطل الوعظ (٤) .

وكيف ينهي أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس من أن يزوجه لأنه مطلق ويزوجه بهذا العدد من النساء ، أو ينهي الناس عن تزويجه من عدم ثقته به ويوصي له بالخلافة ، والواضح من سيرة أمير المؤمنين وأبناءه (عليهم السلام) غير ذلك فكيف ارتضوا لأنفسهم أن يسيئوا إلى هذا البيت الذي كان موضعاً للرسالة ومهبطاً للوحي ، وهذا ما ارتضوه في سيد شباب أهل الجنة وابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وارتضوه لأنفسهم من روايات لا تمت بصلة للإنسانية التي جاء بها

(١) الاحتجاج ، ٣١٨ - ٣٣٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣٢٩ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ١٩٢/٣ .

(٤) الذهبي ، ميزان الاعتدال : ٦٥٥ /٣ .

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا وضعوا اعتباراً لسيرته الحسنة وللأحاديث في فضله (عليه السلام) والتي زخرت بها كتب الحديث وغيرها .

وأين الدليل على أنه (عليه السلام) تزوج هذا العدد من النساء وفي أي مكان ومن هنّ زوجاته ؟ والإمام الحسن (عليه السلام) خليفة المسلمين والمفروض أن تسلط عليه الأضواء وتعرف المئات أو العشرات من زوجاته .

وإذا أردنا أن نقارن بين أعمال الإمام الحسن (عليه السلام) ونحصيها فهل تلتئم مع هذه الدعوى ؟ فمنها مجالسه العلمية في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وكان يشترك في القتال والفتوحات وقام بأعباء خلافة ، وله شؤونه العبادية والبيئية ، فكيف ممكن أن يوزع وقته على هذه النساء .

المبحث الثالث

مصاديق الزهد والعدل عند الإمام الحسن (عليه السلام)

١ . نظرة على نهج أبيه (عليهما السلام) في العدل والمساواة

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) لنهجه في مطلع توليه الخلافة ، وهو النهج الذي سلكه وكان منهاجاً مع نفسه أولاً كما بين لهم وهم يعلمون ذلك الزهد والعدل في سياسته، فهو كان حريصاً بأن لا يفضل أحداً في العطاء ، وسياسته كانت مبنية على أساس مساواة الجميع في الحقوق والواجبات من أجل حماية الرسالة والمسيرة الإسلامية إذ كانت تدعو لهذا المبدأ .

وقد صح ما توقعه الإمام علي (عليه السلام) من أن تطبيقه للعدالة الإسلامية سيثير غضب رجالات قريش الذين دأبوا على العيش برفاهية مما ينهبونه من أفواه الجياع والمحرومين ، وكبر عليهم أن ينهج الإمام علي (عليه السلام) نهج المساواة في الحقوق ، فلا يميز بين حر وعبد ، وبين أسود وأبيض ، وبين عربي وأعجمي ، وكان الجميع أمامه سواسية ^(١) .

(١) كان الإمام علي (عليه السلام) يعلم أن العدالة الإسلامية التي أراد تطبيقها في حكومته ستكون ثقيلة على نفوس المنتفعين والوصوليين والانتهازيين الذين استغلوا الظروف السائدة في زمن خلافة عثمان، فانتهبوا الأموال وتمتعوا بالإمتيازات؛ بسبب القرابة أو كونهم من أنصار هذا الطرف أو ذاك، لذلك حاول (عليه السلام) أن يفهم الذين بايعوه بأن نهجه في التعامل معهم سيكون كما أمر به الإسلام، وأن موافقتهم على مبايعته يجب أن لا تتم من خلال فورة عاطفية، بل عن قناعة تامة عما هم عليه مبايعون .

ينقل الطبري عن أبي بشير العابدي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : " إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم، وإنّي قائلٌ لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي به"، فقالوا : ما قلت في شيء قبلناهُ إن شاء الله، فجاء (عليه السلام) فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه ، فقال (عليه السلام) : إنّي قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيت إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكم ، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا : نعم، قال (عليه السلام) : "أشهد عليهم"، ثم بايعهم على ذلك (تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٠ ، باب خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام") .

٢ . مصاديق سياسة الزهد والعدل لأمير المؤمنين (عليه السلام)

تبني الإمام علي (عليه السلام) سياسة مع نفسه وأهله ^(١) تركز على الزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وامتيازات ^(٢) ، وهذه السمات والطباع الأخلاقية والإنسانية هو من عظيم إثاره للأمة على نفسه، وإنه (عليه السلام) لا يأخذ من فيئهم شيئاً، وإن قُدر له الخروج من الكوفة ، فلا يخرج إلا بالذي جاء به من المدينة : راحته ورحله وغلّامه، وإنه (عليه السلام) لا يسمح لأي كان أن يأخذ من فيئهم شيئاً ولو كلفه هذا الأمر حروباً قاسية ، وفعلاً اضطر لخوض تلك الحروب بسبب أطماع الطامعين في السلطة وأموال وقطائع المسلمين والتي دعتهم إلى نكث البيعة والخروج على الخليفة الشرعي العادل ، وافترائهم ومطالبتهم بمطالب بعيدة عن الواقع ومنها دم عثمان ، وكيف لهم أن يفتروا بتلك الفرية الباطلة والمبادئ الأخلاقية والإنسانية لأمير المؤمنين (عليه السلام) دعته لأن يكون من أشد المدافعين عن عثمان وداره أثناء حصاره ونكاد لا نسمع بمواقف دفاع عن الخليفة المقتول إلا من علي وأبنائه (عليهم السلام) ^(٣).

(١) ذكروا أن عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه علي بالكوفة ، فقال له علي : مرحبا بك وأهلا . ما أقدمك يا أخي : قال : تأخر العطاء عنا : وغلّاء السعر ببلدنا ، وركبني دين عظيم ، فجئت لتصلني . فقال علي : والله ما لي مما ترى شيئاً إلا عطائي ، فإذا خرج فهو لك . فقال عقيل : وإنما شخوصي من الحجاز إليك من أجل عطائك ؟ وماذا يبلغ مني عطاؤك ؟ وما يدفع من حاجتي ؟ فقال علي : فمه ! هل تعلم لي مالا غيره ؟ أم تريد أن يحرقني الله في نار جهنم في صلّتك بأموال المسلمين ؟ (الإمامة والسياسة : ٧٦/١) .

(٢) قال (عليه السلام) : "ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بظميره ومن طعمه بقرصيه، فوالله ما كنزت من دنياكم تيراً ، ولا آذخرت من غنائمها وُفراً، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه كقوت أتانٍ ديرةً ، ولهي في عيني أوهى وأهون عضة مَقرّة" (صبحي الصالح ، نهج البلاغة، كتابه لعثمان بن حنيف ، رقم النص ٤٥) .
وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، فأجابه علي (عليه السلام) : " ويحكّمني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعة الناس كي لا يتبّع بالفقير فقره" (صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، النص ٢٠٩) .

(٣) راجع الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة للشيخ المفيد ، ص ٢٢٦ وبعدها في أطماع الناكثين والقاسطين والمارقين .

أما منواجه (عليه السلام) الذي سلكه في أهل بيته وقربته فلم يكن بعيداً عن منواجه مع نفسه ، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات ، وكان شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه لمتعلقيه وأهل قربته (١).

وقد جابه أمير المؤمنين (عليه السلام) أكبر مشكلة في تاريخ خلافته ألا وهي الولاة الذين كانوا يحكمون الأقاليم الإسلامية ، الذين عُيّنوا على عهد عثمان بن عفان ، وهي التي تسببت بحروبه الثلاث طمعاً من أعدائه في السلطة والمال (٢).

وكان أغلبهم ظالماً جائراً غير أمين على أموال المسلمين وأرواحهم وأعراضهم ، وهم يعلمون عدالة الإمام علي (عليه السلام) وشدة تمسكه بالإسلام، لذا حاولوا التفاوض معه لأجل إبقائهم في مناصبهم وامتيازاتهم ، فرفض بمبدئيته المعهودة وألغى التطبيقية في العطاء فوَقفت قريش بقيادة معاوية ضد مشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) (٣).

وكانت سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) صارمة في تجريد الأمويين من مناصبهم فقد سأل معاوية من علي (عليه السلام) الإقرار له بالشام ومصر قال ابن قتيبة :

وذكروا أن معاوية قال لجريز : إني قد رأيت رأياً . قال جريز : هات . قال :

أكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر جباية ، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده في

(١) روى هارون بن سعيد أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قد قال له : يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة ، فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي ، فقال الإمام (عليه السلام) : " لا والله ما أجِدُ لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك " .

وقد جاء أخوه عقيل - وكان ضريراً - يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على علي (عليه السلام) ، فما كان من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه ، ففزع منها عقيل ، ثم وعظه : " يا عقيل أنتنُّ من حديدة أحماها إنسانها للبعث ، وتجرتني إلى نار سجّرها جبارها من غضبه ، أنتنُّ من الأذى ولا أنتنُّ من لظى " (شرح النهج ٢/٢٠٠ ؛ البحار ، ٤/٣٤٧) .

(٢) وكان معظم هؤلاء الولاة من المحرضين على عثمان والمتسببين بحرب الجمل أيضاً وتأجيج الفتنة والإفتراء على أمير المؤمنين (عليه السلام) بإشاعتهم مسألة المطالبة بدم عثمان وتحريض الناس على أمير المؤمنين (عليه السلام) . وعرض عليه المغيرة بن شعبه عرضاً وهو أن يترك معاوية حاكماً في بلاد الشام وفسّر ذلك بقوله : "إن لمعاوية جراً ، وهو في أهل الشام يُسمع منه " ، فردّ الإمام علي (عليه السلام) قائلاً : " لا والله ، لا أستعمل معاوية يومين أبداً " (تاريخ الطبري ٣/٤٦١) .

(٣) راجع : صلح الإمام الحسن (ع) للسيد سامي البدري : ٧٣ - ٨٠ .

عنقي بيعة ، وأسلم إليه هذا الأمر ، وأكتب إليه بالخلافة . قال جرير : اكتب ما شئت .
 وإنما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر ألا يكون لعلي في عنقه بيعة ، وأن يخرج نفسه مما دخل
 فيه الناس ، فكتب إلى علي يسأله ذلك ، فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف أنها خدعة منه .
 قال : وذكروا أن عليا كتب إلى جرير : أما بعد ، فإن ، معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي
 في عنقه بيعة ، وأن يختار من أمره ما أحب ، وقد كان المغيرة بن شعبة أشار علي وأنا بالمدينة
 أن أستعمله على الشام ، فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً ، فإن بايعك
 الرجل ، وإلا فأقبل (١) .

٣ . زهد الإمام الحسن (عليه السلام) وعدله مقابل الأهداف الشخصية المضادة :

المعروف من سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) كما ذكرنا أنه كان - طيلة حياته إلى استشهاده
 - لا يأخذ من بيت المال إلا بمقدار ما هو حقه مما لا يساوي عطاء الآخرين ، والحسن (عليه
 السلام) هو ابن علي ووصيه ، وقد أغنى الله تعالى الحسن (عليه السلام) عن أخذ ما في بيت
 مال المسلمين بصدقات أبيه (عليهما السلام) ، وأن الحسن بن علي وصي أبيه أمير المؤمنين
 صلوات الله عليهما ، ووصاه بالنظر في وقوفه وصدقاته ، وكتب له وصية وعهداً في معالم الدين
 والحكمة والآداب^٢ ، وقد روى منها جمهور العلماء ومنهم ابن شبة النمري في تاريخه بخصوص
 وصية أمير المؤمنين لولده الحسن (عليها السلام) بماء ينبع وغيره وينفق حيث يريه الله في حل
 محل لا حرج عليه فيه (٣) .

(١) المصدر السابق : ٨٦/١ .

(٢) رأيت في كتاب للسيد علي بن طاووس رواية الحسن بن عبد الله العسكري مصنف كتاب (الزواجر
 والمواظ) رسالة

أمير المؤمنين علي (ع) إلى ولده الحسن (ع) وأوردها أيضاً برواية محمد بن يعقوب الكليني فهو أجمل وأفضل
 فيما قصدناه فذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الرسائل بإسناده إلى أبي جعفر بن عنبسة عن عباد بن زياد
 الأسدي عن عمر بن أبي المقدم عن أبي جعفر (ع) كتبها إليه عندما أقبل من صفين هي رسالة طويلة تبين
 عظمة تلك الوصايا التي وصاها أمير المؤمنين (ع) لإبنه الحسن (ع) في الزهد وذم الدنيا والضعن عنها ومباعدة
 السلطان والظالم . (كشف المحجة : ١٧٠ - ١٧٤) .

(٣) تاريخ ابن شبة النمري ، : ٢٢٨/١ .

كان الحسن (عليه السلام) يخاطبهم ذلك الخطاب البليغ بعد أن بايعوه : " أطيعونا فإن طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم * فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)^(١) وقال : (ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر منكم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)^(٢) (٣) .

ففي مستهل خلافته (عليه السلام) كانت القلوب كلها معه لأنه ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأحبه أكثر من حبه لأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين يأسوا معه من دنيا هذه الخلافة لصرامته في العدل .

وكان الحسن (عليه السلام) بمنجاة من هؤلاء ومن التنصل من ولائهم وطاعتهم ما دام الإمام المعصوم ابن أمير المؤمنين لم يمارس عملاً يصطدم بأهدافهم الشخصية ونواياهم الأنانية والنفعية التي تتجاوز بهم حدود العقيدة .

وإننا وجدنا ما يطابق كلامنا في كتاب صلح الحسن (عليه السلام) للشيخ راضي آل ياسين رحمه الله ، وهو كتاب قيم للغاية قدّم له السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي مقدمة تليق بمحتوى الكتاب ، فعندما تقرأ الكتاب تجد فيه جمال الحديث ومنطق الحكمة والإمام بما يناسب القضية ، وما يحتاجه القارئ والباحث في قضية صلح الإمام الحسن (عليه السلام) ، وما ينبغي الإحاطة به في هذه القضية ، ويغني القارئ بسهولة أسلوبه وانسجام تراكيبه وبلاغة إيجازه وفكره المنظم ، قال الشيخ آل ياسين :

والواقع إنهم فهموا هذا الخلق العظيم على غير حقيقته ، فمبادئهم لا تتفق والحسن (عليه السلام) في رأي ولا عقيدة ، فكانوا بعد قليل من الزمن أسرع الناس إلى الهزيمة من ميادينه ، وذلك لأنهم حيث عركوا مواطن طمعهم من ليونة الحسن (عليه السلام) وجدوها بعد تسلمه الحكم واضطلاعه بالمسؤولية أعنف من زير الحديد^(٤) .

فلم يكن عجباً أن يعودوا إلى سابق سيرتهم مع أبيه (عليه السلام) ، فتلك الفئات من النفعيين واجهوا الصراحة في الحكم والصرامة في العدل من الإبن أيضاً ويأسوا من دنيا هذه الخلافة التي ستأخذ عليهم الطريق دون آمالهم العريضة وأهوائهم الدنيئة .

(١) النساء : ٥٩ - ٦٠ .

(٢) النساء : ٨٣ .

(٣) بحار الأنوار : ١٠ / ٩٩ .

(٤) صلح الحسن (ع) : ٦٧ .

أما صفات الزهد والكرم عنده (عليه السلام) فهي من صفات أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد امتلأت مصادرهم بهذه الأخبار والصفات ، فما عرفناه عنهم في سورة الدهر بأنهم باتوا ثلاث ليالٍ وهم صيام لا يتناولون الطعام إلا الماء القراح .

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، يتمثل كثيرا في الزهد ويقول : يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حمق^(١) .

(١) احياء علوم الدين : ١٧٧ / ٩ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الآلوسي البغدادي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، (ت ١٢٧٠ هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .
٣. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، (ت٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، شرح نهج البلاغة (المختار من كلام الإمام علي عليه السلام وخطبه التي جمعها ووضعها الشريف الرضي)، تحقيق حسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ١٩٩٨ م .
٤. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠ هـ) : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١ ، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م .
- . الكامل في التاريخ ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
٥. ابن أعثم ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ، (ت ٣١٤ هـ) ، الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، (دار الأضواء ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .

٦. ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، (ت ٨٥٢) ، لسان الميزان ، ط ٣ ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
٧. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، (ت ٩٧٤ هـ) ، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، ط ٢ ، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥ هـ .
- ٨ . ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق علي شيري ، ط ١ ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
٩. ابن طاووس، السيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني، (ت ٦٦٤ هـ) :
- . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، تحقيق : السيد علي عاشور ، مؤسسة الأعلمي ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- . الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، ط ٢ ، (مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- . كشف المحجة لثمرة المهجة ، تحقيق : الشيخ محمد الحسون ، مركز النشر للإعلام الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ .
- . اللهوف في قتلى الطفوف ، ط ٢ ، (دار القارئ ، والشرق الأوسط للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٢ / ١٩٩٢) .
١٠. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد ، (ت ٤٦٣ هـ) ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
١١. ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت: ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد، تحقيق : أحمد بن محمد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٣ م .

١٢. ابن عدي ، أبو أحمد بن عدي الجرجاني ، (ت ٣٦٥هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : عادل أحمد محمد معوض ، و عبد الفتاح أبو سنة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
١٣. ابن شهر آشوب ، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني ، (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦هـ .
١٤. ابن قتبية، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ) ، الإمامة والسياسة ، ط ١ ، (مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ٢٠٠٦) .
١٥. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق : علي شيري، (دار الفكر، بيروت ، ١٤١٥هـ).
١٦. ابن شعبة ، أبو محمد الحسن بن علي الحسين بن شعبة الحراني ، (ت . بعد ٣٨١هـ) ، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ، تقديم وتعليق : حسين الأعلمي ، ط ٧ ، (منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٢) .
١٧. ابن المغازلي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي ، (ت ٤٨٣هـ) ، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ط ١ ، منشورات سبط النبي ، ١٤٢٦هـ .
١٨. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت ٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجة، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، (دار الفكر ، بيروت) .
١٩. أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي ، (ت ٣٠٧هـ) ، مسند أبي يعلى ، تعليق : حسين سليم أسد ، دار المأمون ، دمشق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٠. أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، (ت ٧٤٥ هـ) ، تفسير البحر المحيط ، ط ١ ، (دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان) .
٢١. أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصفهاني ، (ت ٤٣٠ هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
٢٢. الأربلي، المحقق الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، (ت ٦٩٣ هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط ٢، (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
٢٣. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ، (ت ٢٥٦ هـ) :
- التاريخ الصغير ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، / ١٩٨٦ م .
- صحيح البخاري ، ط ١ ، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) .
٢٤. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري ، (ت ٢٧٩ هـ) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ، رياض الزركلي ، ط ١ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧ / ١٩٩٦ م) .
٢٥. البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، (ت ٦٨٥ هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد المرعشلي ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .
٢٦. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي ، (ت: ٤٥٨ هـ) ، معرفة السنن والآثار، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، (دار قتيبية، بيروت، ١٤١٢ هـ) .
٢٧. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى الترمذي ، (ت ٢٧٩ هـ) ، الجامع الصحيح " سنن الترمذي " ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

٢٨. الثعلبي ، أبو اسحاق أحمد بن محمد ابراهيم الثعلبي، (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، تحقيق: علي بن عاشور - نظير الساعدي ، ط١، دار احياء الكتب، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٩.الحاكم الحسكاني ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري النيسابوري ، (ت ٤٩٠ هـ) ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ط١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، طهران ، ١٤١١ هـ .

٣٠. الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله الحاكم، (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشي، (دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٦ هـ).

٣١. الحضرمي ، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الشافعي الحضرمي ، (ت: ١٣٤١ هـ) ، رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي، تحقيق السيد علي عاشور ، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٩٨ م .

٣٢. الحر العاملي ، الشيخ محمد بن الحسن ، (ت ١١٠٤ هـ) ، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، قدم له : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، ط١ ، (مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٤ م) .

٣٣. الجويني ، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله الجويني الشافعي ، (ت ٧٣٠ هـ) ، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من نريتهم عليهم السلام ، ط١، مؤسسة المحمودي، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٤١٦ هـ).

٣٤. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت ، (ت ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .

٣٥. الخوارزمي ، الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ) ، مقتل الحسين "عليه السلام" ، مكتبة المفيد ، قم المقدسة ، بلا . ت .
٣٦. الطباطبائي، السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت ١٤٠٢ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح حسين الأعلمي ، ط١، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧ م).
٣٧. الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
٣٨. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (٥٤٨ هـ) ، الاحتجاج، تحقيق : السيد محمد باقر الخرسان، (دار النعمان، النجف، ١٣٨٦ هـ).
٣٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تأريخ الأمم والملوك المعروف بـ (تاريخ الطبري)، ط١، دار الأميرة ، بيروت، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
٤٠. العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف المطهر الحلي ، (ت ٧٣٦هـ) ، نهج الحق وكشف الصدق ، تقديم : السيد رضا الصدر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
٤١. الغزالي ، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري ، (ت ٥٠٥ هـ) ، إحياء علوم الدين ، ط١ ، (مركز الإهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
٤٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت ٩١١ هـ) ، تاريخ الخلفاء ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ .

٤٣ . الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي ، (ت ٤٣٩هـ) ، تنزيه الأنبياء ، تحقيق : فارس حسون، ط١، (مركز النشر ، قم، ١٤٢٢هـ) .

٤٤ . الشهيد الثاني ، زين الدين العاملي ، (ت ٩٦٥هـ) ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، ط١ ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ .

٤٥ . الشيخ الأنصاري ، مرتضى بن محمد أمين شمس الدين بن محمد الأنصاري الدزفولي ، ت ١٢٨١هـ ، فرائد الأصول ، مجمع الفكر الاسلامي ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٤٦ . الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، (ت ٣٢٩ هـ) :

. الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط١، (مؤسسة البعثة، قم).

. إكمال الدين وإتمام النعمة ، جامعة المدرسين ، قم ، ١٤١١هـ .

. من لا يحضره الفقيه ، تصحيح : علي أكبر الغفاري ، ط٢ ، قم المقدسة ، ١٣٩٢هـ .

. علل الشرائع ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

٤٧ . الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي، (ت: ٤١٣هـ) :

. أوائل المقالات ، ط٢ ، دار المفيد ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

. الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، تحقيق: السيد علي مير شريفی، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ .

. الإرشاد، ط١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٥م .

- ٤٨ . القندوزي الحنفي، الشيخ سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني ،(دار الأسوة ، بيروت ، بلا . ت) .
- ٤٨ . الزمخشري ، محمود بن عمرو بن محمد ، (ت٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبط النصوص والمراجعة : عبد الرزاق مهدي ، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- ٤٩ . المجلسي ، محمد الباقر بن محمد النقي بن مقصود بن علي المجلسي ، (ت ١١١ هـ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ٥٠ . المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت: ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرح وتقديم : مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان .
- ٥١ . المحقق الحلي ، جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي ، (ت٦٧٦ هـ) ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، ط٢ ، (مطبعة الأمير ، قم ، ١٤٠٩ هـ) .
- ٥٢ . المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت ٨٤٥ هـ)، فضل آل البيت ، تحقيق : محمد أحمد عاشور ، ط٢ ، (دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٠) .
- ٥٣ . النووي ، محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي ، ت٦٧٦ هـ ، شرح صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- ٥٤ . الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي ، (ت٤٦٨ هـ) ، أسباب النزول ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، (دار الاصلاح ، الدمام ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .

٥٦. الهيثمي، أبو الحسن بن أبي بكر بن سليمان الشافعي نور الدين الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٥٧. اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن يعقوب بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي، (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٣م .

المراجع الحديثة

١. أبو علم ، توفيق ، أهل البيت، (مكتبة الإرشاد، بيروت، ١٩٨٢م) .
٢. آل ياسين، الإمام المجاهد الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن (عليه السلام)، تصدير بقلم : الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، (منشورات الشريف الرضي، بيروت).
٣. الأميني، عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤ .
٤. البدري ، سامي ، صلح الإمام الحسن (عليه السلام) "قراءة جديدة"، مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، النجف، ط١.
٥. الحكيم ، حسن ، المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية ، ط١ ، دار القضاء ، النجف الاشرف ، ١٩٨٦م .
٦. الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي :
- أجود التقريرات ، منشورات مصطفى ، قم ، ط٢ ، ١٣٦٨هـ .
- معجم رجال الحديث ، مؤسسة الإمام الخوئي ، ط٥ ، ١٤١٣ هـ .
٧. السيستاني ، السيد علي الحسيني ، الرافد في علم الأصول ، بقلم : السيد منير الخباز ، ط١ ، ١٩٩٤ .

٨. الشيرازي ، محمد الموسوي ، ليالي بيشاور ، تعريب وتحقيق : حسين الموسوي ، ط ٤ ، برهيزكار ، قم المقدسة ، ١٤٢٧ هـ .
٧. فضل الله ، عبد المحسن ، الإسلام وأسس التشريع ، بحث مقارن ، ط ٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٩. القرشي ، باقر شريف، حياة الإمام الحسن (عليه السلام)، ط ٢ (قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة ، ١٤٢٩ هـ) .
١٠. مطهري، مرتضى، سيرة الأئمة الأطهار، ط ٢، (دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م).

المحتويات

المقدمة أ - ج

الفصل الأول عصمة الإمام الحسن ووجوب طاعته

المبحث الأول

١- الإمامة ٣

٢- العصمة ٧

٣- الأحاديث في فضل الإمام الحسن عليه السلام ١٦

المبحث الثاني

١- النص بلزوم طاعة ولي الأمر ١٩

٢- رعية الحسن مكفون بإتباعه ٢٣

الفصل الثاني حُجِّيَّة التسليم بصلح الإمام الحسن عليه السلام

المبحث الأول

١- استدلاله بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام ٢٥

٢- استدلاله بموقف جده وأبيه صلوات الله عليهم ٢٦

٣- استدلاله بأحوال الأنبياء والأوصياء قبله ٢٨

٤- الحسن عليه السلام الأسوة الحسنة ٣٠

المبحث الثاني

استرشاده عليه السلام بالخطر على الدين وأهله ٣١

المبحث الثالث

نظراته عليه السلام لعناصر الكوفة وتشتت رأيهم ٣٧

١- تغلغل حالة التمرد في واقع الأمة ٣٧

٢- من هم عناصر الكوفة وسكانها ٣٩

الفصل الثالث الإمام الحسن عليه السلام صلابة موقفه ووحدة هدف

المبحث الأول

١- حرص الإمام الحسن عليه السلام على دماء المسلمين ٤٨

٢- وحدة الخطاب والهدف ٤٩

المبحث الثاني

- ١ - الاعتراضات والردود ٥٥
- ٢ - كتابات بعض العلماء والمفكرين في أهمية المصالحة ٦١

الفصل الرابع نظرة على شروط الصلح

المبحث الأول

- ١- شروط الصلح ٦٢
- ٢- شرط الأموال وزيادة العطاء ٦٣
- أ- نص المادة ٦٤
- ب - هذا الشرط حقيقة أم تضليل ٦٥
- ت - الرؤية السلبية ودوافعها ٦٥
- ث - أخبار في رد تلك الإفتراءات الباطلة ٦٨
- ج - الروايات التي لم يرد فيها شرط الأموال ٧٧

المبحث الثاني

- ١- الروايات الطاعنة والتعقيب على رواياتها ٨٢
- ٢- اختلاف وتضارب الأخبار والروايات ٨٥
- ٣- روايات أخرى طاعنة ومسيئة
- أ - دوافع وأسباب وجود هذه الروايات المسيئة ٩٣
- ب - افتراءات لا تنسجم مع مكانة المعصوم عليه السلام ٩٥
- ت - روايات آحاد وضعيفة السند ٩٦

المبحث الثالث

- مصاديق الزهد والعدل عند الإمام الحسن عليه السلام ١٠٩
- ١- نظره على نهج أبيه عليه السلام في العدل والمساواة ١٠٩
- ٢- مصاديق سياسة الزهد والعدل لأمير المؤمنين عليه السلام ١١٠
- ٣- زهد الإمام الحسن عليه السلام وعدله مقابل الأهداف الشخصية المضادة ١١٢
- المصادر والمراجع

